الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي :

رقم التسجيل ط 1 : 96376813

رقم التسجيل ط 2 : 97455085

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان :

مأساة الأرض و حلم العودة في الرواية الفلسطينية

رواية– السفينة – لجبرا إبراهيم جبرا أنموذجا

إعداد الطالبان :

- حميطوش علي
- سحنون محمد

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
قاني مولود	أستاذ مساعد أ	جامعة المسيلة	رئيسا
ميداقين هشام	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا و مقررا
عرباوي محمد	أستاذ مساعد أ	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية : 1439 – 1440 هـ / 2018 – 2019 م

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بشكره تدوم النعم نحمده ونشكره على نعمة الصحة والعقل .

نتقدم بالشكر و التقدير إلى الدكتور هشام ميداقين الذي أشرف على هذه المذكرة و الذي أنار لنا الدرب بتوجيهاته و نصائحه ،

إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذه المذكرة و أغنوها بملاحظاتهم القيمة و التي ستكون عونا لنا بإذن الله في سد فجواتها كي ترقى للمستوى الأفضل .

إلى الأستاذ عبد الحق شريك الذي ساهم بكتابة و إخراج هذه المذكرة بهذا الشكل .

إهداء ..

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار...إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...والدي العزيز.

إلى بسمة الحياة و سر الوجود ...إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي ...أمي.

إلى من بها أكبر و عليها أعتمد...إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي.. إلى من بوجودها اكتسبت قوة و محبة..زوجتي

إلى من أرى التفاؤل في عينيهما و السعادة في ضحكتهما ...إلى شعلة الذكاء و النور إلى الوجه المفعم بالبراءة و لمحبتكما أزهرت أيامي و تفتحت براعم للغد .....طفلاي أشرف و جوري. علي..

إهداء ..

روح والديَّ الكريمان رحمهما الله .

عائلتي... زوجتي و أولادي،فاطمة الزهراء ،عبدالله وعائشة .

صديقي العزيز رفيقي في هذا البحث... علي حميطوش.

الذين مهدوا لي طريق العلم و المعرفة،أساتذتي في كل الأطوار.

زملائي وتلاميذ مدرسة أوصيف الدراجي .

إليكم جميعا أهدي هذا العمل، والله ولي التوفيق.

محمد

مقدمة

مقدمة :

احتلت الرواية الفلسطينية مكانة مرموقة في الرواية العربية ، كونها قدمت للمشهد الروائي أعلاما كبيرة ، و للمكتبة العربية مدونات سردية ، شكلت حضورا ثقافيا متميزا ، أثر في الوجدان العربي ، بسبب الخصوصية الإنسانية للقضية الفلسطينية .

و إن كانت مأساة الاحتلال ، و ما صاحبها من تشرد و لجوء و شتات ، قد شكلت العمق الدرامي للرواية الفلسطينية ، فإن تحولات هذه المأساة كقضية وجود و تاريخ قد فتح عالمها الروائي على مساحات كبيرة من السرد .

هذا و قد حظيت حياة الفلسطيني الغريب عن أرض وطنه باهتمام الكثير من الكتاب الروائيين الفلسطينيين ، و منهم جبرا إبراهيم جبرا ، الذي حفلت رواياته بثقافة واسعة ، وتقنيات تقديم متطورة تدل على اطلاع كاتبها الكبير على الرواية و النقد ، و هو الشيء الذي شدنا إلى الإبحار في بحر جبرا الروائي على ظهر مركبه "السفينة" .

وقد عالجنا موضوع البحث تحت الإشكالية التالية :

- كيف تجلت مأساة الأرض و حلم العودة في الرواية الفلسطينية ؟ و في رواية السفينة لجبرا ابراهيم جبرا على وجه الخصوص ؟

ومن هذه الإشكالية تفرعت التساؤلات الفرعية التالية :

- ماهي مراحل تطور القضية الفلسطينية ؟ وما علاقتها بالنتاج الأدبي الفلسطيني ؟
- ماهي أبعاد قضية الأرض معلم العودة في الرواية الفلسطينية؟ و تطورها في رواية السفينة ؟
- أين تشكل المكان و الزمان في الرواية الفلسطينية ؟

و جاء اختيارنا لقضية الأرض في رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا موضوعا لدراستنا هو أننا أردنا أن نقارب عددا من القضايا المرتبطة بحياة العربي عموما و حياة الفلسطيني بوجه الخصوص كقضية السفر و الهروب من القدر و الحلم الدائم بالرجوع إلى الجذور إلى الأرض ، وقد ترسخت لنا القناعة التامة بالتطرق لموضوع الدراسة بعد اطلاعنا على رواية السفينة و إعجابنا بأسلوب جبرا الفريد من نوعه في التعرض لقضية الأرض بالنقاش و التحليل في الرواية حول القضية الفلسطينية.

وقد تناولنا دراسة رواية "السفينة" من منظور النقد الحديث ، و رأينا أن المنهج البنوي كفيل بمساعدتنا على الإجابة على تساؤلاتنا المطروحة حول موضوع الدراسة ، ذلك لأن المنهج البنوي يتميز عن غيره من مناهج النقد و التحليل باعتماده على الآلية الداخلية التي يعمل بها النص ، لإظهار ماذا يعني ؟ و ماذا يقول ؟

و قبل أن نبدأ بفصول دراستنا قمنا بعرض تمهيد تاريخي مختصر مررنا من خلاله على أبرز المحطات التاريخية و السياسية الفلسطينية ، و علاقتها بالظاهرة الأدبية لا سيما الإنتاج الروائي. و في الفصل الأول الذي جاء بعنوان : الرواية الفلسطينية ومأساة الأرض ، قاربنا من خلاله عدد من الرؤى تخص قضية الأرض في الرواية الفلسطينية ، كانت هذه المقاربة من منظور كبار روائييها : كغسان كنفاني في روايته "رجال في الشمس" ، و إيميل حبيبي في روايته "المتشائل" ، ثم عرضها بالدراسة و التحليل في رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا. وجاء الفصل الثاني بعنوان : التشكيل المكاني والزماني في رواية السفينة ، وقد تطرقنا في هذا الفصل لآلية المكان و أهميتها في تشكيل رواية السفينة من جهة ، و في تحريكه للسرد و الزمان من جهة ثانية ، كما تعرضنا بالدراسة إلى نظرية الزمن ، و حاولنا استنباط ما يوجد في الرواية من انحراف زمني و إيقاع روائي ، ذلك أن الزمن في رواية السفينة

يشكل عمارا هندسيا رائعا في بنائها . لتأتي الخاتمة و التي عرضنا فيها باختصار أهم ماتوصلنا إليه من نتائج و ملاحظات ذات الصلة بكل فصل فصلي هذه الدراسة .

هذا و لاحظنا أن الموضوع قد استأثر بدراسة كبيرة أهمها كتاب نضال الصالح " نشيد الزيتون" قضية الأرض في الرواية الفلسطينية،وقد اهتمت هذه الدراسة بقضية الأرض في النتاج الروائي الفلسطيني ، كذلك كتاب سليمان حسين " مضمرات النص و الخطاب " دراسة في عالم جبرا الروائي، و هي دراسة اهتمت بقدرات جبرا إبراهيم جبرا الإبداعية التي منحت رواياته سمات عظيمة.

وقد قمنا بالاعتماد على مصادر و مراجع عدة ، ساعدتنا على دراسة موضوعنا، ننوه إلى أهمها : جبرا إبراهيم جبرا "السفينة" كذلك كتاب يوسف حطيني " مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، و تناولت هذه الدراسة تحليل عناصر السرد الروائي عبر البحث عن تجلياته في النصوص الروائية الفلسطينية . بالإضافة إلى كتاب سعيد يقطين "تحليل الخطاب الروائي".

كما أننا واجهنا صعوبات أثناء تناولنا لهذا البحث بالدراسة خاصة فيما تعلق بـ : تحديد المأساة في الرواية، وتعدد المراجع الشئ الذي نتج عنه إشكالا في التحليل والاستنتاج.

في الأخير نعلم سادتنا الكرام أننا بذلنا كل جهد مستطاع لإخراج بحثنا هذا بهذا الشكل و نرجو من الله عز و جل أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا .

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في إنتاج هذا البحث ، و نخص بالذكر الدكتور المشرف ميداقين هشام ، الذي كان لنا عونا طيلة مراحل كتابة بحثنا بتوجيهاته وتقويماته ، ولم يبخل علينا من كرمه و عطائه العملي و المعنوي ، فله منا عظيم التقدير و الاحترام ، كذلك نتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة على إثرائها لهذا البحث بالملاحظات و التوجيه .

مهاد تاريخي

تمهيد: مدخل تاريخي حول القضية الفلسطينية .

أولا : النكبة .

ثانيا: النكسة .

ثالثا : الانتفاضة .

رابعا : إتفاقية أوسلو .

خامسا : حق العودة

أولا – النكبة :

هو مصطلح فلسطيني يبحث في المأساة الإنسانية المتعلقة بتشريد عدد كبير من الشعب الفلسطيني خارج دياره،وتعني :

1 – لغة : نكب عن الشيءِ وعن الطريق و تعني المصيبة أو الكارثة و حوادث الدهر [1]

2 – اصطلاحا : المأساة الإنسانية الفلسطينية تشريدا و تهجيرا و اقتلاعا من الأرض ، و قتلا لأبنائها و إرهابا لهم ، هدما و تدميرا للبنى التحتية و للممتلكات و المقدسات و غيرها ... "فضلا عن تخريب بنية المجتمع الفلسطيني سياسيا و اجتماعيا و ثقافيا و اقتصاديا بسبب الحركة الصهيونية التي احتضنها الغرب منذ أن تبنى فكرة إنشاء " وطن قومي لليهود " في فلسطين وفق العقلية المجرمة للحركة الصهيونية" [2] و "ذلك بعد القرار رقم مائة و واحد و ثمانون "181" الصادر بتاريخ التاسع و العشرين من نوفمبر عام ألف و تسعمائة و سبعة و أربعين (29-11-1947) عن مجلس الأمن الدولي و القاضي بتقسيم فلسطين و تقديم الجزء الأكبر من مساحتها للغرباء الصهاينة الذين جاؤوا من دول غربية عدة ، ثم ما إن قررت بريطانيا إنهاء انتدابها لفلسطين في الرابع عشر من شهر ماي عام ألف و تسعمائة و ثمانية و أربعين حتى أعلن المجلس القومي اليهودي إنشاء الدولة الصهيونية برئاسة – ديفيد بن غريون –" [3] ، و نتج عن ذلك ولادة دولة الكيان الإسرائيلي على الأراضي العربية برعاية الدول الغربية.

و يمكن القول أن النكبة هي أخطر حدث مر في تاريخ العرب الحديث لأن آثار الإرهاب البريطاني و الصهيوني تجاوز الفلسطينيين إلى الوطن العربي بأكمله، والنكبة

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،1955،مادة نكب.

[2] أنطوان سعاده ،مجلة فكر ،الحزب السوري القومي الاجتماعي ، بيروت،2009 ، العدد 104، ص 12.

[3] حسين جمعة،تجليات النكبة والمقاومة في الفكر والادب العربي المعاصر، دار رسلان، دمشق ،ط 2، 2013، ص53.

مازالت تؤرق المجتمع الدولي بالحديث عن تقرير المصير للفلسطينيين و إقامة دولتهم المستقلة و عاصمتها القدس ، و هي أيضا مرتبطة بمسألة اللاجئين و حق العودة .

3- تأثير النكبة على المستوى الثقافي :

أما على المستوى الثقافي فقد شكلت النكبة انعطافا حادا في تاريخ الشعب الفلسطيني ، انعكست ظلالها على شتى مناحي الحياة لا سيما منها الأدبية ،" حيث لبس المبدعون داخل الأرض المحتلة لباس ثوار و مقاومين و أدركوا حق الإدراك أن قادة العالم و العرب غير ملتزمين بالحفاظ على حق الشعب الفلسطيني ، وفي ذلك يقول الشاعر الشهيد كمال ناصر 1925-1973

إنها قصة شعب ضللوه

و رموه في متاهات السنين

فتحدى و صمد

و مضى يشعل ما بين الخيام

ثورة العودة في دنيا الظلام" [1]

إذا تعد نكبة – 1948 – مأساة إنسانية مورس فيها التطهير العرقي بحق العرب الفلسطينيين ، هذه المأساة دفعتهم إلى المغادرة الحتمية لمنازلهم و أراضيهم إلى مصر و الأردن و لبنان و سوريا ، و إلى الضفة الغربية و القطاع و هو كله اغتراب اتخذ منه الروائيون الفلسطينيون موضوعا لرواياتهم ، كما نجده في روايات غسان كنفاني لا سيما رواية " رجال في الشمس " و التي كانت تحرض على رفض الواقع و القيام بالثورة و المقاومة .

[1] حسين جمعة ، تجليات النكبة و المقاومة في الفكر و الادب العربي المعاصر ، ص 19.

ثانيا :النكسة :

النكسة .. هو الاسم المتداول للهزيمة التي حلت بالأمة العربية التي لم تحافظ على ما تبقى من فلسطين بعد النكبة بتضييعها و تضييع مساحات شاسعة منها في أيام قلائل ، ما تزال تبعاتها تنخر الجسد الفلسطيني و العربي إلى يومنا هذا و تعني :

1 – **لغة** : من الفعل نكس و فاعله ناكس و مفعوله منكوس ، وتعني الانتقال من الأفضل إلى الأسوء ، فعندما نقول " انتكس المريض " أي عاوده المرض بعد أن شفي ، أو " انتكس الطالب " بمعنى تراجع مستواه التحصيلي بعد أن تحسن .

النكس: قلب الشيء على رأسه ، و نكس رأسه : بمعنى أماله و طأطأه من ذل ، أنشد الفرزدق يقول:

و إذا الرجال رأوا يزيدا رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار . [1]

و في القرآن الكريم : " وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ " السجدة، الآية 12

2– اصطلاحا : مصطلح يطلق على حرب 1967 أو " بنكسة حزيران أو حرب الأيام الستة " التي وقعت بين إسرائيل و كل من مصر و سوريا و الأردن ، وبمساعدة عسكرية من لبنان و العراق و الجزائر و السعودية و الكويت ، في الفترة الواقعة بين الخامس من حزيران و العاشر منه عام 1967 ، ونتج عنها احتلال إسرائيل لشبه جزيرة سيناء و قطاع غزة و الضفة الغربية و هضبة الجولان .[2]

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ص477.

[2] وكالة الأنباء و المعلومات الفلسطينية، وفاء، موقع الكتروني ، تاريخ الزيارة 2019/03/22 .http://www.wafa.ps

3 – تأثير النكسة على الساحة الادبية الفلسطينية و العربية :

أحس الفلسطينيون بخيبة امل كبيرة اثر النتائج الكارثية التي اعقبت الهزيمة ،خيبة عبر عنها الشاعر " أمل دنقل " [1] في قصيدته " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة "

تكلمي ... لشدة ما أنا مهان

لا الليل يخفي عورتي ... كلا و لا الجدران !

و لا اختبائي في الصفيحة التي أشدها ..

و لا احتمائي في سجائر الدخان ! [2]

كشفت حرب 1967 عن : " اختلال كبير في موازين القوى لصالح المشروع الصهيوني الذي يعتبر جزءا عضويا من النظام الرأسمالي العالمي ، عبر غرس دولة إسرائيل داخل المنطقة العربية " [3]

هذا الاختلال الكبير غذاه عدم فهم الأنظمة العربية لما يحاك ضدها من طرف القوى الغربية ، وكانت الهزيمة كنتيجة لذلك ، و طرحت بعدها أسئلة أهمها : لماذا هزم العرب ؟ ، وتجاوزت الإجابة على هذا السؤال الأسباب العسكرية المباشرة إلى الأسباب الأكثر عمقا و

---

[1] أمل دنقل شاعر مصري ،1940–1983 ، عرف بقوميته العربية ، من قصائده ، البكاء بين يدي زرقاء اليمامة .

[2] أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1987 ، ط 3 ، ص 122.

[3] عاطف أبوسيف،سياسات، مجلة فصلية تصدر عن معهد السياسات العامة ، رام الله،فلسطين،العدد 40، 2017،ص9.

الكامنة في طبيعة الأنظمة العربية و الفكر الذي قاد إلى الهزيمة ، و قد عبر الشاعر " نزار قباني " في قصيدة " هوامش على دفتر النكسة " :

أنعي لكم يا أصدقائي ، اللغة القديمه

و الكتب القديمه

أنعي لكم

كلامنا المثقوب كالأحذية القديمه ..

و مفردات العهر ، و الهجاء ، و الشتيمه

أنعي لكم ... أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمه[1]

اتخذ الروائيون الفلسطينيون من الحديث عن النكسة التي حلت على الشعب الفلسطيني عام 1967 ، و ما حدث خلالها من قتل و دمار و خراب و إرهاب ، أدى إلى التهجير القسري للناس من ديارهم و أرضهم وسيلة لرفض الواقع السياسي الجديد ، و رفض الاعتراف بدولة الكيان الإسرائيلي (و كان لهزيمة حرب 1967 أثرها الواضح في حياة الفلسطينيين و العرب ، و قد كتب الكثير عن هذا الأثر في الشعر و النثر ، و من الذين صوروه الروائي الفلسطيني " إميل حبيبي " الذي استعار أيام الحرب الستة لاسم روايته التي كتبها بعد تلك الحرب ، و لعله أول من صاغ رواية عن وضع الإنسان الفلسطيني تحت سيطرة الاحتلال الذي يجعل صاحب الأرض غريبا ، و يجعل المحتل سيدا على الأرض)[2]

[1] نزار قباني ، الاعمال الشعرية الكاملة، هوامش على دفتر النكسة، منشورات نزار قباني،بيروت،2017،ط16،ص655

[2] محمد حسين عبد الرحيم،دراسة بعنون القدس في رواية إيميل حبيبي،سداسية الايام الست،جامعة الاردن،2017،ص95

لا تزال النكسة تحدث في نفوس الروائيين انكسارا و مهانة و حسرة على البلاد التي ضاعت ، و الآمال و الحقوق التي ضيعت ، و القتل و التهجير الذي دفع إليه الفلسطينيون قسرا ... و تعرض رواية " أحلام " لكاتبها " محمد نصار " حوارا بين مريم و جدتها الضريرة التي تجلس داخل " العشة " و تسأل حفيدتها عما يجري من قصف و قتل و تفجير و تهجير للناس ، و يأتي الجواب من مريم : " اليهود يا جدة ... اليهود ذبحوا الناس ... هيا معي إلى غزة هناك الوضع أكثر أمانا ... " [1]

ليأتي اتفاق أوسلو الذي كان كارثة أكبر من النكبة و النكسة ، و أتى على ما بقي من حقوق للشعب الفلسطيني .

ثالثا : الانتفاضة :

يشير مصطلح الانتفاضة إلى الثورة المدنية ، و في الوقت الحاضر يرمز هذا المصطلح إلى انتفاضة الشعب الفلسطيني الأولى عام سبعة و ثمانين تسعمائة و ألف و تعني .

1- لغة : من الفعل نفض النَّفْضُ : مصدر نفضت الثوب و الشجر وغيره أنفضه نفضا إذا حركته ، ونفضته شدد للمبالغة. [2]

2- اصطلاحا : بعد عشرين عاما من الاحتلال الإسرائيلي للضفة و القطاع اشتعلت شرارة كان فتيلها مقتل أربعة فلسطينيين في التاسع من ديسمبر عام 1987 إثر دهسهم من طرف مستوطن إسرائيلي ، جاءت انتفاضة الشعب الفلسطيني و كانت " عبارة فعل شعبي ، بشكل عفوي ثم أصبحت منظمة بتوجيه من قبل التنظيمات السياسية ، و شملت كافة النواحي الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية ، فقد انتفض كل من الطلاب و الأطباء و الصيادلة و

---

[1] حسين محمد حسين، الرواية الفنية وتجلياتها الموضوعية في الأرض المحتلة بعد اوسلو، ماجستير،جامعةغزة،2008، ص 76.

[2] إبن منظور ، لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1،ج 12،1993 ص 437 .

المحاسبين و المزارعين و التجار و المرأة ، و قد شارك كافة فئات المجتمع ، و كافة الانتماءات السياسية "[1]

اتحدت كل الفصائل الفلسطينية ، و جعلت هدفها الأساسي هو إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية .

و كالعادة فقد " ردت إسرائيل بشكل عنيف على الانتفاضة حيث أغلقت الجامعات الفلسطينية و هجرت العديد من النشطاء ، و دمرت منازل الفلسطينيين " [2] في محاولة منها القضاء على الانتفاضة في بدايتها .

"حركت الانتفاضة الأولى جهود المجتمع الدولي لإيجاد حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، و انتهت الانتفاضة عام ألف و تسعمائة و ثلاثة و تسعين بتوقيع اتفاقية أوسلو "[3]

3 – حضور الانتفاضة في الرواية الفلسطينية :

حضرت الانتفاضة في الرواية الفلسطينية بشكل لا فت حيث تناولها الروائيون تناولا مباشرا في أعمالهم ، و من هذه الأعمال نجد نصين " ربما يمثلان أهم نصوص الانتفاضة على الإطلاق ، لما فيهما من وعي قومي و فني في آن واحد ، و هما زغاريد الانتفاضة لمحمد وتد ، و الجراد يحب البطيخ لراضي شحاتة " [4]

هذا و قد شكلت الانتفاضة منعطفا هاما في تاريخ الشعب الفلسطيني لأنها أعادت إليه الروح و الصمود في وجه العدو الصهيوني .

---

[1] اسلام سليمان، المقاومة الشعبية خلال الانتفاضة الأولى، ماجستير، جامعة غزة، 2015، ص 16 .

2 نافذ عزام ،قيادي في حماس،حوار مصور في قناة الجزيرة https://interactive.aljazeera.com .

3 مرجع نفسه .

[4] مصطفى عبدالغني، الاتجاه القومي في الرواية ، مجلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ،1994، العدد 188– ص 245.

وتطرق أيضا الكاتب حبيب هنا في روايته " الانتفاضة العشيقة – الزوجة " إلى " أهداف الانتفاضة الممثلة في تحقيق أهداف شعبنا في العودة و تقرير المصير و بناء الدولة الفلسطينية " [1]

استمرت الانتفاضة بأشكالها المختلفة و صمدت ضد الاحتلال و سياساته القمعية من اعتقال و حصار و إبعاد و تهجير ، و كانت هناك انتفاضة ثانية سميت " بانتفاضة الأقصى " في الثامن و العشرين من شهر سبتمبر عام ألفين عندما قام أرييل شارون بزيارة استفزازية للمسجد الأقصى ، وقعت اشتباكات نتج عنها استشهاد خمسة فلسطينيين في اليومين الأولين .

وعموما الانتفاضة نتيجة حتمية لما عاناه الشعب الفلسطيني ، و هي مرحلة نضالية و أرضية لأهم القرارات التي ستأتي في اتفاق أوسلو .

رابعا – اتفاقية أوسلو :

لم تخل الرواية الفلسطينية في تناولها للقضايا المركزية للشعب الفلسطيني من تصوير للنكبة و التعبير عن المحن الرهيبة التي تلت تلك المرحلة ، مقدمة بذلك تاريخا مفصلا لما حدث في فلسطين ، و ما وقع على أرضها ، و قد استمر تصوير النكبة إلى حدود اتفاقية أوسلو .

1 – المفهوم الاصطلاحي : تعتبر اتفاقية أوسلو التي تم توقيعها بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها – شمعون بيراز – و منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بأمين سرها – محمود عباس – أول اتفاقية رسمية بين الطرفين ، هذه الاتفاقية المعروفة رسميا بـ " معاهدة أوسلو للسلام وقعتها إسرائيل و منظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية ، في الثالث عشر من سبتمبر عام ألف و تسعمائة و ثلاثة و تسعين ، بحضور الرئيس الأمريكي

[1] حسين محمد حسين ،الرواية الفلسطينية و تجلياتها الموضوعية ، ص 99.

بيل كلينتون ، و سمي الاتفاق بأوسلو نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها عملية المحادثات السرية عام ألف و تسعمائة و واحد و تسعين ، أفرز هذا الاتفاق ما عرف بمؤتمر مدريد " [1]

و قد عد هذا الاتفاق " انعطافا تاريخيا في العلاقة بين الشعبين ، فبعد عقود من التشهير المتبادل اعترف كل طرف بالآخر ... و قد مثل الاتفاق إطارا عاما لحل النزاع بين الإسرائيليين و الفلسطينيين " [2]

و قد نصت هذه الاتفاقية على " إعلان المباديء العامة لإقامة سلطة حكم ذاتي انتقالي فلسطينية ، أصبحت فيما بعد تعرف بالسلطة الوطنية الفلسطينية ، و مجلس تشريعي يقود المرحلة لمدة ثلاث سنوات " [3]

في الجانب الآخر التزمت منظمة التحرير الفلسطينية على لسان رئيسها ياسر عرفات بحق إسرائيل في العيش بسلام و الوصول إلى كل الحلول لكل القضايا العالقة من خلال المفاوضات .

2 – حضور اتفاقية أوسلو في المشهد الروائي الفلسطيني:أوجد اتفاق أوسلو واقعا فلسطينيا له خصوصيته السياسية و الاجتماعية ، لا سيما في المجال الأدبي ، فقد عبر الروائيون الفلسطينيون عن موقفهم الرافض لاتفاق أوسلو من خلال أعمالهم الفنية التي أبدعوها عقب توقيع الاتفاق .

ومن الذين كتبوا في الرواية عن ما آلت إليه الأمور بعد اتفاق أوسلو الروائية –سحر خليفة– التي وصفت الواقع وصفا مباشرا في روايتها الميراث 1997 " هذه الرواية التي تأتي

---

[1] جريدة BBC، مقال بعنوان ،أوسلو ، ليوم 2001/11/29 .http://web.archive.org/news.bbc.co

[2] بيدرو بريجير ، الصراع العربي الاسرائيلي ، تر ابراهيم الصالح ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت لبنان ، 2012 ،ص 95 .

[3] جريدة BBC، مرجع سابق.

في صفحاتها على وصف حياة فلسطينيي الضفة بعد أوسلو ، و يمتد زمنها الروائي إلى فترة ما بعد دخول القوات الفلسطينية إلى المدن الغربية في الضفة و القطاع " [1]

و لم تكتف – سحر – بانتقاد اتفاقية أوسلو في الرواية ، بل واصلت انتقادها ليطال السلطة الفلسطينية " و ترى سحر في أوسلو جنينا أمه عربية و والده إسرائيلي ، و تقول إن روايتها هذه تتابع تناول خيبة الأمل و الاعتراف بالهزيمة ، و أن شخصياتها تفضح الواقع الفلسطيني المصاب بالعقم و تعريه " [2]

رفض الروائيون الفلسطينيون الواقع الجديد بعد أوسلو رفضا قاطعا لأنه يتضمن اعترافا صريحا بحق الكيان الصهيوني في الوجود ، و يؤكد ضياع الوطن ، و اتسمت أعمالهم بالواقعية التي لا تكتفي بالتصوير الموضوعي للواقع ، بل الرفض و الانتقاد .

خامسا – حق العودة :

منذ احتلالها لفلسطين 1917 ، و تنفيذا لوعد بلفور المشئوم ، بدأت بريطانيا بفرض العديد من السياسات التي أدت إلى تسهيل هجرة اليهود من شتى بقاع الأرض إلى أرض فلسطين ، و تجريد الفلسطينيين أصحاب الأرض من أراضيهم ، الأمر الذي أدى إلى تهجير آلاف الفلسطينيين إلى غاية 1947 قسريا " بعد إعلان الأمم المتحدة تقسيم فلسطين ، و قدر عدد المهجرين بـ 750 ألف فلسطيني " [3]

[1] عادل الاسطة ، أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات،مؤسسة فلسطين للثقافة ، دمشق،ط2،2008، ص 106 .

[2] المرجع نفسه ،ص 107.

[3] ميسون أسدي ،النكبة المستمرة والحقوق الثابتة ،مجلة المركز الفلسطيني لمصادر وحقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم،2015،ص15.

و لا تزال مشكلة اللاجئين الفلسطينيين تثير الجدال و النقاش ، و تطرح كقضية خاصة فيما يتعلق بالأسباب والنتائج ، و أحقية اللاجئين الفلسطينيين المهجرين في العودة إلى ديارهم وأوطانهم .

1 – المفهوم الاصطلاحي :

العودة إلى فلسطين من أكثر المواضيع تداولا إذا ما تعلق الأمر بالقضية الفلسطينية ، فالعودة " هي حق الفلسطيني الذي طرد أو هجر من أرضه قبل عام ثمانية و أربعين تسعمائة و ألف أو في وقت بعد ذلك ، في العودة إلى الديار أو الأرض أو البيت الذي كان يعيشه قبل عام 1948 " [1] و حق العودة تكفله القرارات و المواثيق الدولية لحماية حقوق الإنسان " إنه النتيجة الطبيعية لحق كل فرد في مغادرة بلده بحرية و العودة إليه بحرية " [2] لا سيما القرار رقم 194 الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في الحادي عشر ديسمبر عام ألف و تسعمائة و ثمانية و أربعين .

لكن السؤال الذي طرح و ما زال يطرح هو " إلى أي مدى تلتزم إسرائيل بالمعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان ؟! إنه لمن البديهي ألا تكون معنية بحقوق الإنسان " [3] مما يجعل مسألة العودة حلما وجب على الفلسطينيين خوض حروب أخرى لتحقيقه .

2 – حق العودة في الرواية الفلسطينية :

تناول الروائيون الفلسطينيون مسألة حق العودة للتعبير عن الانتماء إلى الوطن و الأرض ، و الدعوة إلى الوعي و التنبه بخطر خسارة الأرض و الوطن بعد النزوح و التهجير ، و حق العودة الذي تحول إلى حلم بسبب الممارسات الإسرائيلية ، و قد تناول إميل حبيبي

---

[1] إيليا زريق، اللاجئون الفلسطينيون و حق العودة،مجلة،مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت،العدد 19،1994،ص68

[2] رمضان بابادجي ، حق العودة للشعب الفلسطيني و مبادئ تطبيقه،مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،ط 2،1997، ص 54

[3] مرجع نفسه ، ص 59

علاقة الفلسطيني بأرضه في روايته الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل " و من أبرز ما يميز الرواية فيما يتصل بعلاقة الفلسطيني بأرضه تأكيد الإيمان العارم الذي يغمر الذات الفلسطينية بالعودة إلى الأرض مهما طالت فترة النزوح عنها ، فالمرأة اللداوية العجوز ثريا عبد القادر تخبيء عند نزوحها سنة 1948 مفتاح بيتها في شق الدار من الجدار لأنها كانت تؤكد لنفسها " غدا أعود " [1]

هذا و قد تناولت رواية – رأيت رام الله – لمريد البرغوثي قضية العودة كواقع بعد اتفاق أوسلو ، و قد عالج فيها جانبا من سيرته الذاتية في لحظة ظل يحلم بالعودة منذ أن خرج و هاجر في سنة 1967 للدراسة في القاهرة .

[1] نضال الصالح ، نشيد الزيتون ،ص 77.

الفصل الأول

الفصل الأول : الأرض و العودة دراسة موضوعية.

أولا – قضية الأرض في الرواية الفلسطينية .

ثانيا – مفارقة الأرض و الإنسان في الرواية الفلسطينية .

ثالثا – حلم العودة في الرواية الفلسطينية .

أولا – قضية الأرض في الرواية الفلسطينية :

اتخذ السرد الروائي الفلسطيني الأرض مكونا أساسيا في المنجز الأدبي الفلسطيني ، و جعل منها أحد أهم الأركان التي تقوم عليها علاقة الفلسطيني بأرضه .

و راحت الرواية الفلسطينية تصور حنين الفلسطيني إلى أرضه التي اقتلع منها و تدعوه إلى التمسك بها و الإصرار على البقاء فيها بالمقاومة و الصمود .

و يرى فاروق وادي أن رحلة الروائي الفلسطيني تبدأ من الأرض و فيها تنتهي ، فهي تتوازى مع رحلة الإنسان الفلسطيني عموما ، من الأرض إلى المنفى الذي تظل فيه الأرض محمولة في الذاكرة . [1]

و من الروائيين الفلسطينيين الذين تناولوا قضية الأرض و جعلوها أحد المسوغات المتصلة اتصالا مباشرا بالإنسان الفلسطيني – غسان كنفاني– الذي يعتبر الأرض " هي التاريخ و الشعب و الحق الشرعي للفلسطيني في وطنه ، و بعبارة أخرى هي الهوية تمد الفدائي طاقة هائلة يناضل من أجل استرجاعها من أيدي الصهاينة " [2]

كما تعد الأرض من أهم بواعث الانتماء و التجذر التي تجعل الفلسطيني يظل متمسكا بقضيته " فنسيج الفلسطيني يبقى متمحورا حول الأرض ، و كل الأفعال ، الأحلام ، الهواجس ، الطموحات يظل محورها الأرض وحتى الموت فإنه لا يكتب معناها بعيدا عن

---

[1] فاروق وادي،ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،ط1،1981،ص 52 .

[2] عبد الوهاب محمد ، الحوار المتمدن ، مقال نشر في مجلة مفكرة الاسلام ، العدد 389 ،2008 ، http://ahewar.org/search/Dsearch.asp?nr=4694

الأرض " [1] و هنا تصبح الأرض ذلك المكون الوجودي الذي يأوي إليه الفلسطيني في حياته و في مماته .

1 – قضية الارض في رواية– رجال في الشمس– لـ غسان كنفاني:

عكس اهتمام الرواية الفلسطينية بفكرة الأرض صورة الفلسطيني المكافح و الطامح إلى استرجاع حريته و سيادته بالنضال و الصراع ، و الحالم باسترجاع أرضه المغتصبة " وقد كانت روايات غسان كنفاني من الروايات التي استوعبت صورة الأرض بشروطها التاريخية محاولة رصد حركة جوهرها " [2] و برزت هنا رواية رجال في الشمس و التي اعتبرت منعطفا هاما في تكون بناء الرواية الفلسطينية ، فهي " بداية لرؤية متطورة للشخصية الفلسطينية التي أصرت الروايات السابقة على رثائها و التعاطف معها " [3] و قد سرد مشاكل ضياعها دون الأخذ بيدها و انتشالها من جحيم الموت و النسيان .

توزع السرد في رواية رجال في الشمس بين أبي القيس و أسعد و مروان من جهة ، و الصفقة و الطريق و الشمس و الظل من جهة ثانية ، يقود الرواية حدث واحد و هو هجرة كل من أبي القيس و أسعد و مروان إلى دولة عربية (الكويت) يبحثون عن العمل خلال السنوات التي تلت النكبة ، يموتون جميعا في خزان الشاحنة التي كانت تقلهم عند الحدود .

تظل الأرض محمولة في ذاكرة أبي القيس إلى حد التماهي ، فيعيش فيها رغم فراقه لها ، و كلما نأى عنها اقترب منها ، و كأنه طيف يحتويه ، يمسك بقلبه العاشق لأرضه

---

[1] فاروق وادي ، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، ص 52.

[2] فاروق وادي ،مرجع نفسه ، ص 36.

[3] نضال الصالح ، نشيد الزيتون ، ص 19.

فيخفق حبا و شوقا " أراح أبو القيس صدره فوق التراب الندي ، فبدأت الأرض تخفق من تحته ، ضربات قلب متعب تطوف في ذرات الرمل مرتجة ثم تعبر إلى خلاياه " [1]

يؤكد كنفاني هنا أن الأرض متوحدة في القلب ، فهي تخفق مع خفقاته ، هي محور النضال ، وكلما ابتعد الفلسطيني عن أرضه ابتعد عن نضاله و شعر بالعجز و الضياع و الوهم و الخداع المؤدي إلى الموت المجاني ، " و حتى الموت فإنه لا يكتب معناه بعيدا عن الأرض ، فيصبح مجانيا رخيصا حينما يكون خانمة الرجال في رحلتهم الطامحة إلى إيجاد بديلهم الوهمي للأرض " [2]

إن النهاية المأساوية في – رجال في الشمس– و الموت داخل خزان شاحنة يمثل " انقطاعا كاملا عن الأرض ، عن نبضها و رائحتها " [3] يمثل المصير المحتوم لكل متخلي عن أرضه ، لكل باحث عن السعادة خارج أرضه .

فالموت بتلك الطريقة في صحراء شاسعة وعرة المسالك هو " انتصار الحقيقة اللاسعة على ما هو وهم و زوال " [4] يمثل المصير المحتوم لكل فلسطيني تخلى عن أرضه الخضراء المفعمة بالحياة و التي تمثل ماضيه و تاريخه , وارتمى في صحراء قاحلة فيها كل المشاق و الصعاب .

إن المعنى الذي سعى إليه كنفاني في رواياته هو ضرورة الحفاظ على الهوية التي تظهر معانيها بالانتماء و البقاء في الأرض وليس بالخروج منها .

---

[1] غسان كنفاني ، رجال في الشمس ،دار منشورات الرمال، قبرص ، ط1، 2015، ص 36 .

[2] فاروق وادي ، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، ص 52.

[3] نضال الصالح ، نشيد الزيتون ، ص 20.

[4] مهند عدنان ، البعد التاريخي في رواية رجال في الشمس ، ديوان العرب مجلة الكترونية ، تاريخ الزيارة2019/03/29 https://diwanalarab.com/spip.php?article

و يمكن اعتبار أن " مضمون الرواية ثوريا بالمعنى التاريخي للكلمة ، لأنه يكشف أن الهرب حل خاطيء يؤدي إلى الطريق المسدود " [1] ، أما الطريق الذي يصل الفلسطيني بجذوره و أصله فهو طريق البقاء في أرضه و المقاومة .

2 – قضية الارض في رواية–الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل لـ إميل حبيبي :

نالت رواية إميل حبيبي – المتشائل – اهتماما كبيرا من طرف النقاد ، فقد عدت منتجا روائيا هاما في الرواية العربية و الفلسطينية خاصة ، و بتطرقها لمأساة الأرض فقد صورت " تحدي الفلسطيني أمام العدو لإثبات هوية الأرض فكرا و تراثا و شعبا" [2]

تصور الرواية أحد النماذج الفلسطينية الواقعية من خلال السير الذاتية لبطل الرواية سعيد أبي النحس– وكيف استغلته سلطات الاحتلال الصهيوني و استخدمته عينا لها داخل أجهزتها الاستخباراتية على أبناء أرضه و قومه الفلسطينيين ، لكن المميز في الرواية هو تجاوزها " لما هو خاص في حياة المتشائل إلى ما هو عام " [3] لتصور شدة ارتباط الفلسطيني بأرضه و تشبثه بها ، في أقصى لحظات ضعفه و وهنه " فالمتشائل يذكر أسماء ما يزيد عن سبعين مدينة و قرية فلسطينية ، والكثير من أسماء الشوارع والأحياء العربية ، ومن تفاصيل الجغرافيا الفلسطينية "[4] في تشكيل يعبر عن عدم رضاه على الممارسات الصهيونية في تغييرها لأسماء الشوراع و البلدات العربية إلأى أسماء عبرية كما فعلت بنابلس حين حولت اسمها إلى شخيم .

---

[1] القاسم أفنان ، غسان كنفاني،البنية الروائية لمسار الشعب الفلسطيني،منشورات وزارة الثقافة و الفنون،بغداد، ص 114.

[2] تميم كتانة ، المكان في رواية إيميل حبيبي ،دار المنهل،بيروت،2017،ص 16.

[3] نضال الصالح،نشيد الزيتون،ص 76.

[4] نضال الصالح،نشيد الزيتون ، ص 76 .

إن من أبرز ما يميز شخصيات الرواية علاقة الفلسطيني بأرضه هو أسماء شخصيات الرواية – اسم باقية – في الرواية هو اسم " امرأة ترمز لفلسطين التي بقيت و حافظت على هويتها في وجه كل الصعاب " [1] إنه الإنسان الفلسطيني الذي تصدى لممارسات الاحتلال الوحشية المقترفة بحق أصحاب الأرض من تدمير لبيوتهم و تشريد لهم ، كذلك تمثل باقية " روح المقاومة و التثبت بالأرض و الهوية العربية في وجه محاولات الاقتلاع و الترحيل " [2]

و تتطرق الرواية إلى حلم العودة إلى الأرض مهما طال النزوح " فالمرأة للداوية العجوز ثريا عبد القادر تخبيء عند نزوحها سنة 1948 مفتاح بيتها في شق من الجدار " لأنها كانت تؤكد لنفسها غدا أعود " [3]

شخصية أخرى من الرواية – يعاد – تمثل المرحلة الجديدة من وعي الفلسطيني و إحساسه بخطر فقدان أرضه بعد نكسة 1967 و إلزامية العودة " يعاد يعتقلها جنود الاحتلال من بيت المتشائل فتناديه قائلة : لا يهمك فإني عائدة و هي صورة ترسمها الرواية لذلك الإيمان الذي يغمر الذات الفلسطينية بالتمسك بأرضه و المقاومة " [4] .

لقد تعززت قيمة الرواية كونها طرحت مأساة الأرض في الإصرار على البقاء فيها و المقاومة ضد الاحتلال العسكري الإسرائيلي الذي كانت نتيجته " حركة المقاومة بالحجارة أو

---

[1] تميم كتانة، المكان في رواية إيميل حبيبي ،ص 60.

[2] تميم كتانة ، المرجع نفسه ، ص 61 .

[3] نضال الصالح ، مرجع سابق ، ص 77 .

[4] المرجع نفسه ، ص 78 .

روح الانتفاضة ... أعادت ملف القضية الفلسطينية إلى المحافل الدولية في دائرة الضوء و الاهتمام "[1]

3 – قضية الارض في رواية – السفينة – لـ جبرا إبراهيم جبرا:

تعد رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا من أكثر النصوص الإبداعية التي تجسد صورة الأرض المفقودة في ذهن الفلسطيني،و هي " الرواية التي كانت مباشرة في التعبير عن الفلسطيني الذي يراه جبرا مندمجا مع معاناة قضيته ، و ذلك من خلال شخصية وديع عساف الذي ملأ الرواية بما يمكن تسميته عقدة الأرض النفسية في حياة الشخصية ، و هي عقدة الانتماء إلى الأرض " [2]

تطرق جبرا في رواية السفينة إلى مقاومة الشعب الفلسطيني و دفاعه عن أرضه قبل النكبة ، و الذي تمثل في إضراب الشهور الستة ، و قد تحدث وديع عساف عن تلك الاحتجاجات بتمجيده للفلسطينيين الذين دافعوا عن أرضهم ، و ذكر الوعي الكبير الذي اكتسبه الفلسطينيون لخطر فقدان أرضهم .

و تبدو الأرض و صورها مكونا هاما في ذاكرة جبرا إبراهيم جبرا و رواياته ، و قد تجلى ذلك من خلال ما تعنيه مدينة القدس التي تعتبر " أكثر المدن حضورا في رواياته ، بما تحمله من ذكرى حنينه و إرث حضاري و تاريخي و انتماء ديني و وطني " [3]

وقد عبر وديع عساف لصديقه عصام السلمان عن اشتياقه لأرض القدس و فلسطين عموما " في متاهات الصخر و الزيتون المحيطة بالمدينة ، هل جلست يا عصام تحت

---

[1] تميم كتانة ، المكان في رواية إيميل حبيبي ، ص 189 .

[2] حسين مناصرة ، فردوس الأرض المختصبة ، دار الفارابي ، بيروت،ط1، 2013،ص 191 .

[3] وليد محمود ، القدس في روايات جبرا ابراهيم جبرا ، جامعة غزة، فلسطين،بحث المؤتمر الخامس للكلية ، 2011، ص 48 .

زيتونة هرمة ، على الأرض الحمراء و الشوك يكاد يحيط بك ، و كذلك الزهرات القلائل من الشقائق أو ذلك الجنون الأصفر الذي لم تعرف له أسماء قط لأن الفلاحين لا يسمونه بالجنون ، لك الله يا زيتونات الطالبية و القطمون و المصلبة و الوادي المسترسل إلى المالحة ... تحتك تركنا جزءا من حياتنا هبة و عربونا للعودة تخرج إلى العالم ، و ترى الأشجار الغراء المالحة المتباعدة في تلك الأرض الصخرية الحمراء ، لعنة واحدة هي أوجع اللعنات لعنة الغربة عن أرضك " [1]

فلطالما سيطرت الأرض أرض القدس بكل تفاصيلها على ذهن الفلسطيني ، و أعتبر أن حياته لا قيمة لها إلا في أرضه ." الأرض ... الأرض هي السر في حياتك مع لمى أو بغير لمى ، ستجرك الأرض عودة إليها من جديد مهما فعلت ، و أينما ذهبت " [2] فأرض القدس كانت الدافع الدائم الذي يستثير الفلسطيني في العودة إلى وطنه .

و يضيف – عساف – شكلا آخرا من أشكال عشق الفلسطيني لأرضه في صورة عشقه للصخر من خلال تطرقه للحديث عن بداياته الأولى في الرسم ، رسمه الأشجار و البيوت و قلعة النبي داود و القرويات و هن يبعن العنب " و ركضت وراء فتيات جميلات لأنهن لن كالصخر،كالأرض التي نشتق من بين صلابتها طراوة الخضرة و نكهة الفاكهة " [3] و حمل الصخر دلالة الصلابة و القوة و التجذر و الانتماء ، لأنه جزء من الأرض و هو " أحد الدلالات النفسية و الفنية و الحضارية التي توضح المرامي الاجتماعية للخطاب " [4]

إن رواية السفينة هي رواية الأرض بامتياز ، كونها حملت مفارقات الإنسان العربي ، يفر من أرضه و وطنه باحثا عن جنته و حلمه في صورة هروب عصام السلمان من أرضه

---

[1] الرواية، ص22، 23 .

[2] الرواية، ص 84 .

[3] الرواية، ص 59 .

[4] سليمان حسين ، مضمرات النص و الخطاب ، اتحاد الكتاب العرب ، بيروت ، ط1، 1999، ص 21 .

بغداد إلى الغرب ، و الإنسان الفلسطيني الذي يهرب نحو أرضه و وطنه " ستجرك الأرض عودة إليها من جديد مهما فعلت ، و أينما ذهبت " [1]

ثانيا – مفارقة الأرض و الإنسان في الرواية الفلسطينية :

اهتم الروائيون الفلسطينيون ببناء الشخصيات الروائية التي تحقق التوازن بين الأحداث الروائية ، و قد استخدموا نماذج بشرية تعبر عن قدرة منتج النص على الوصول عن طريقها إلى عالم المتلقي كما " استمدت الشخصية الحكائية أهميتها و مكانتها في دراسة العمل الروائي من كونها الأداة الأولى التي يعبر الكاتب بواسطتها عن الفكرة " [2]

قدمت الرواية الفلسطينية نماذج روائية مميزة استطاعت من خلالها التعبير عن علاقة الفلسطيني بأرضه من جهة ، و علاقته بقضيته الوطنية من جهة ثانية .

و قد نسجت خيوط الشخصية الروائية الفلسطينية رجلا كان أو امرأة في كل صورها ، المثقف و المقاتل و الفلاح و المناضل وغيره ، ضمن ظروف الإنسان الفلسطيني المختلفة : ظروف الاحتلال ، ظروف مغادرة الأرض ، ظروف اللاجئين ، و قد بينت الشخوص الروائية الظروف الصعبة التي يعيشها الفلسطيني سواء في الداخل أو في مخيمات اللاجئين .

1 – مفارقة الأرض و المرأة في الرواية الفلسطينية – رواية أم سعد – لغسان كنفاني :

مثلت المرأة في النتاج الروائي الفلسطيني محور القضية الفلسطينية ، فقد كانت رمزا للأرض ، رمزا للنضال ، رمزا لفلسطين ذاتها ، و قد وقفت في وجه العدو الصهيوني منذ

[1] الرواية، 84 .

[2] نضال الصالح ، نشيد الزيتون ، ص 91 .

البدايات الأولى للصراع ، و " قدم الروائيون الفلسطينيون صورا متعددة للمرأة و لدورها في العمل و النضال الوطني ، مواكبين بذلك حركة الواقع الاجتماعي و السياسي " [1]

تعد روايات –غسان كنفاني– من الروايات الفلسطينية التي صورت مكانة المرأة و صلتها بالأرض ، و قد برع في روايته أم سعد في جعل المرأة وجها آخر للأرض ، جعل أم سعد المرأة " قوية كما لا يستطيع الصخر... صبورة كما لا يطيق الصبر " [2] و أنها دوما " مثل شيء ينبثق من رحم الأرض " [3] فأم سعد في الرواية هي تلك المرأة المليئة بالخصائص الإنسانية التي جعلت صلتها بالأرض تتعمق أكثر ، سلبت منها أرضها إبان نكبة 1948 ، و هجرت إلى مخيمات اللاجئين بلبنان ، و بقيت تكافح و تأمل في العودة إلى وطنها و أرضها معلقة كل آمالها على الفدائيين الفلسطينيين ، و مشككة في تعامل الأنظمة العربية مع القضية " بدأت الحرب بالراديو و انتهت بالراديو " [4]

إن المرأة – أم سعد– في الرواية مثلت الوعي الفلسطيني الجديد في أرقى صوره وتجلياته ،الوعي الذي صارت أحد صناعه ومهندسيه، حتى أصبحت خلاله " تلد الأولاد فيصيرون فدائيين ، هي تخلف و فلسطين تأخذ "[5] . كما تنبت الأرض النبات .

تتعمق أم سعد و تتوحد بالأرض إلى حد كبير " فقد كانت معرفتها بكل ما له صلة بالأرض تتجاوز حدود الجذر الاجتماعي الذي تنتمي إليه و تمثله "[1]

---

[1] حسان رشاد الشامي ، المرأة في الرواية الفلسطينية ، اتحاد الكتاب العرب ، بيروت ، 1998، ص 96 .

[2] غسان كنفاني ، الاثار الكاملة ، الروايات ، أم سعد ، المجلد الاول ، دار الطليعة ، ط1، 1972، ص 259 .

[3] مرجع نفسه ،ص 259 .

[4] مرجع نفسه ، ص 250 .

[5] مرجع نفسه،ص 334.

[6] نضال الصالح ، نشيد الزيتون ، ص 122.

" و لأنها – أم سعد– مؤمنة بأن الكفاح هو السبيل الوحيد للخروج من خيام الذل و الهوان إلى أرض الثورة و الصمود ، لذلك قامت بتكوين و تربية و نشئة – سعد– فدائيا " مثلما تتعهد الأرض ساق العشبة الطرية "[2] و قد قدمته للثورة " ليس تضحية بابنها بل تحقيقا لذاتها "[3] آملة بذلك في العودة إلى الأرض ، إلى الوطن ، إلى فلسطين " أريد أن أعيش حتى أراها ، لا أريد أن أموت هنا في هذا الوحل ، و وسخ المطابخ "[4]

واصل كنفاني تصوير المرأة أم سعد " من ثلاث مصادر أساسية : الأرض و المخيم و المستقبل "[5] إذ أنها أتت من الأرض ، و اتجهت نحو المستقبل ، نحو الحلم بالعودة " هذه المرأة تجيء تصعد من قلب الأرض ، و كأنها ترتقي سلما لا نهاية له "[6]

و تلتحم أم سعد المرأة بالأرض كما يلتحم المطر بالتراب " أم سعد حين يبتل شعرها في المطر يبدو و كأنه تراب مسقي "[7] ، و قد بلغ توحد أم سعد بالأرض ذروته حينما " عبر كنفاني عن نفسه في الرواية من خلال المعادلة التي شكلها بين مفردات جسدها و

---

[1] غسان كنفاني، الاثار الكاملة ، ص 260.

[2]. يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، اتحاد الكتاب العرب ، بيروت ، 1999، ص 40

[3] غسان كنفاني ، مرجع سابق ، ص 171 ..

[4] رضوى عاشور ، الطريق إلى الخيمة الاخرى ، دراسات في اعمال غسان كنفاني، دارالشروق،القاهرة، ط1، 2016،ص99.

[5] غسان كنفاني ، مرجع سابق، ص 245 .

[6] مرجع نفسه ، ص 269 .

الأرض " [1] فشبه ساعده بساعدها " الأسمر القوي يشبه لونه لون الأرض ، و راحتاها تشبهان جلد أرض يعذبها العطش " [2]

و في صورة أخرى ارتبطت أم سعد بالأرض حين زرعت فرع الدالية " و الذي يرى الراوي لحظتها لحظة يأسه ، و إحباطه ، و شعوره بالحصار أن هذا ليس وقته " [3] لكنها تزرعه " سأزرعه و سترى كيف يعطي عنبا ، هل قلت لك إنه لا يحتاج إلى ماء ، و أنه يعتصر حبات التراب في عمق الأرض و يشربها " [4] هذا و أضحت شجرة الدالية معادلة للشخصية في تجدد الحياة و انبثاق الأمل من رحم المعاناة .

عدت المرأة الفلسطينية – الأرض – " رمزا للخصوبة ، و منبعا لوقود الثورة في المخيمات ، و هي بعبارة أخرى رحم و بوتقة للفدائيين الذين يشتغلون بالنضال اليومي الفلسطيني " [5]

2 – مفارقة الأرض و المثقف – وديع عساف – في رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا :

يعتقد جبرا إبراهيم جبرا " أن المثقفين هم المغيرون و هم الثوريون الحقيقيون ، سواء حملوا السلاح في سبيل هذا التغيير أو لم يحملوه " [6]

---

[1] نضال الصالح ، نشيد الزيتون ، ص 122

[2] غسان كنفاني ، الآثار الكاملة ، ص 277،278 .

[3] رضوى عاشور ، الطريق إلى الخيمة الاخرى. ص99 .

[4] غسان كنفاني ، مرجع سابق ، ص 253 .

[5] حسن فتح الباب منار، الخطاب الروائي عندغسان كنفاني،دراسة اسلوبية،الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر،2003 ، ص 53 .

[6] فاروق وادي ، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، ص 164 .

ويرى عبد السلام محمد الشاذلي أن" شخصية المثقف من حيث هو إنسان شديد التأثر بالبيئة الاجتماعية المحيطة به ، كما أنه في الوقت نفسه شديد التأثير في وسطه الاجتماعي و في محيط عالمه و عصره " [1]

إن شخصية المثقف هي الشخصية المركزية في المنجز الروائي الفلسطيني ، كونها النموذج الواعي بالمخاطر التي كانت تهدد الوجود الفلسطيني على أرضه ، و آمنت بالمقاومة كسبيل للتحرر و استعادة الهوية و الأرض ، و آمنت بأن تكون في استعداد لفداء الأرض بالدم و الروح .

شغلت شخصية المثقف جزءا كبيرا و مكانة مميزة في عالم جبرا الروائي لما لها من دور كبير " للمثقفين دورهم الأكبر في هذا المجتمع " [2] ، و مثلت رواية السفينة فضاءا رحبا أفصح من خلاله شخصية المثقف الفلسطيني عن ارتباطه بالأرض و استعداده للكفاح و النضال من أجل قضيته .

و رصدت السفينة أحد أهم مشاهد المقاومة و هو مشهد استشهاد – فايز – صديق– وديع عساف – كما رصدت أخبار المظاهرات الطلابية في فلسطين ضد الاحتلال البريطاني في فلسطين على خلفية هجرة اليهود " في يوم من أيام الربيع التي يتفجر فيها الصخر زاهرا ، اجتمع طلاب المدارس في فناء قبة الصخرة لينطلقوا منها في مظاهرات أخرى ، احتجاجا على الحكومة البريطانية لسماحها باستمرار الهجرة اليهودية ، و أضربت البلاد كلها ستة أشهر طوال ، و تفجرت صخور فلسطين بالثوار في كل مكان " [3]

---

1 عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية ،دار الحداثة الحديثة،بيروت ، ط1، 1985 ، ص8

[2] فاروق وادي ، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، ص 164 .

[3] الرواية، ص 57 .

امتلكت شخصية – وديع عساف – ما ميزها عن سواها من شخصيات الرواية ، فقد كانت بمثابة " الرمز الفلسطيني المباشر الذي عاد بسفينته في نهاية الأمر إلى الطريق الصحيح ، طريق الثورة " [1]

يرفض – وديع عساف – فكرة الهجرة تحت أي سبب كان " حريتك هي في أن ترفض الهرب ، حريتك هي في أن تكون مهندسا في أرضك مهما ضاقت بك و تفننت في إيذائك " [2]

و قد وصلت علاقة الفلسطيني بأرضه إلى قمة حضورها في اعتبار حرية و خلاص العربي في العودة إلى أرضه و البقاء فيها ، و في ذلك يقول جبرا إبراهيم جبرا " إن الهروب في السفينة عنصر أساسي طبعا ، فأنا أصور أناسا يهربون و لكنهم في النهاية يكتشفون أنهم لا يستطيعون الهرب أو أنهم يجب أن يهربوا ، و أن خلاصهم يكمن في العودة إلى أرضهم ، في العودة إلى الصخر ، و الصخر هو كل شيء ، و لذلك وضعتهم في سفينة بعرض البحر ، هؤلاء عزلوا أنفسهم و أبحرت بهم هذه السفينة في المياه من مدينة إلى مدينة ، فكأنهم يتصورون أنهم يستطيعون أن ينسوا تجربتهم الحقيقية ، تجربتهم التي هي أعماق كيانهم ، و لكنهم اكتشفوا أنهم يحملون تجربة الصخر في أنفسهم ، و أن خلاصهم في النهاية هو أن يعودوا و إلا انتحروا كما انتحر – فالح – لأنه لم يستطع أن يعود ، و خلاص العربي هو في عودته إلى الصخر في مجابهته قضية بلده " [3]

تواصل شخصية المثقف الفلسطيني تجليها في شخصية –عساف– المؤمن بعدالة قضيته و وحدة أرضه ، و الذي يحول هذا الإيمان إلى مقاومة و نضال " لقد انتهوا الآن من

---

[1] مصطفى عبد الغني ، الاتجاه القومي في الرواية ، مجلة عالم المعرفة ، لمجلس الوطني للثقافة ، الكويت، 1994، العدد 188، ص 200 .

[2] الرواية، ص 237 .

[3] جبرا ابراهيم جبرا ، الفن و الحلم والفعل ، ص 488، 489.

الرقص على السفينة " [1] " إن الواقع العربي يعود إذن إلى طريقتين إما المقاومة و إما الجنون " [2] و هو ما يمثله عساف و فالح المصر و المقاوم ، و فالح المجنون المنتحر .

ثالثا– حلم العودة في الرواية الفلسطينية :

منذ الانتداب البريطاني على فلسطين ، و ما صاحبه من هجرة اليهود و سلبهم و تملكهم لأراضي المواطنين ، و بناء المستوطنات عليها ، عبرت الرواية الفلسطينية عن الهم الوطني و ساهمت في تطور الفكر العام للتخلص من الاستعمار البريطاني ، لتحل النكبة التي فاقمت الوضع نتيجة سياسات التهجير الممنهجة ضد أصحاب الأرض .

" تعد التجربة الفلسطينية في النفي ، بما تعنيه من تهجير شعب ، و قيام دولة مستعمرة استيطانية على بقايا أشلائه ، فريدة في التاريخ الحديث الذي عرف نماذج مختلفة من الاستعمار ، إذ يعطينا التاريخ نماذج من استعمار شعب في بلده في أسوء الأحوال يتم نفي عدد محدود من النشطاء الوطنيين خارج حدود البلاد " [3] و ظل الفلسطيني متمسكا بأرضه مكافحا مناضلا في سبيل تحقيق حلمه الطبيعي بالعودة إلى أرضه ، رافضا كل الحلول التي طرحت عليه و التي تحمل ما قد يمنعه من تحقيق أحلامه بالعودة .

بعد نكبة 1948 تجلت الحقائق الاستعمارية الإسرائيلية و تراكمت العقبات و الصعوبات ، فاقتنع الفلسطيني أنه لا بد من التضحية و الإصرار على العودة إلى الأرض .

الأرض ،جنة الفلسطيني ، و حبه الأبدي " و يؤكد السارد على قضية عامة في وعي الأسرة الفلسطينية ، و هي قضية غرس الوطن في ذهن الأجيال لضمان العودة " [4]

---

[1] الرواية، ص 240 .

[2] مصطفى عبد الغني ، الاتجاه القومي في الرواية ، ص 201 .

[3] يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ، ص 71 .

[4] عواد أوزينة، أصوات من الحصار ، منشورات إي كتب ، لندن ، 2009 ، ص 99 .

و يرى شفيق ناظم الغبرا أن حلم العودة" لا يعني العودة إلى المنزل الذي كان يعيش فيه الوالد و الجد فقط ، و إنما هو ذلك الرابط مع الأرض و الانتساب إلى المكان " [1] و يسرد لخضر محجز في روايته – اقتلوني و مالكا – حلم عطية بالعودة إلى قريته و أرضه فيقول : " و أخذ يجري نحو الوادي ... يعرف مكانه و إن ردم ، يعرف الحصى حصاة حصاة كما يعرف أنفاسه و راحة يده و دقات قلبه ... يتحسس الحصى الناعم ، انكب على الأرض موشوشا ، و سمع صوت الحصى العطشان ، كنت في انتظارك ، فقد عرفت بأنك ستأتي ولكن أين الباقون ؟ " [2] .

حلم العودة هو حلم صاحب الحق في استرجاع أرضه و عدم التفريط فيها ، لأن التفريط في الأرض هو عار ما بعده عار للفلسطيني ، حسب العادات المتغلغلة في الأوساط المجتمعية الفلسطينية .

1 – حلم العودة في رواية – نجمة النواتي – لغريب عسقلاني :

تواصل الرواية الفلسطينية اهتمامها بتأصيل حلم الفلسطيني بالعودة إلى أرضه من خلال توثيق الهوية الفلسطينية بين الإنسان و الأرض .

و قد كان الحلم الفلسطيني في العودة إلى الأرض حاضرا في رواية نجمة النواتي لغريب عسقلاني من الحلم بلقاء حبيبته الباقية في أرض الوطن ، لكن حجم الصعوبات كان أكبر من هذا الحلم ، فبعد انتهاء حرب 1967 و ما حدث بعد هذه الانتكاسة العربية و الفلسطينية تلاشى حلم لقاء حبيبته – زهرة – في تلاشي كل أمل في استرجاع الأرض بعدما أجهزت القوات الإسرائيلية على ما تبقى من الأرض الحبيبة أرض فلسطين و ما تبعها من هجرة الشعب الفلسطيني .

---

1 شفيق ناظم الغبرا ، عدة وجوه لحق العودة ، مجلة الدراسات الفلسطينية، 2019، العدد 117 ، ص 79 .

[2] خضرا محجز ، رواية اقتلوني و مالكا ، عطية للنشر و التوزيع ، غزة فلسطين ،2012، ص 68 .

إن ابتعاد النواتي عن حبيبته هو ابتعاد الفلسطيني عن أرضه " التي تمثل فيها النجمة الهادي و الدليل في ليله المظلم إليها ، و لكن حلم العودة هذا ينهار بنكبة جديدة عام 1967 "[1]

نتيجة الحرب قضت على آمال النواتي في الرجوع إلى أرضه ، إلى حبيبته ، إلى وطنه ، فقد خسر زهرة هذه المرة أيضا ، كما خسرها بعد نكبة 1948 ، حيث بقيت في فلسطين ، وبقيت أخبارها تترصده و تقوى حلم العودة لديه ، لكن هذه المرة اختفت نهائيا و ضاع الوطن كله ، النواتي صار أحد رموز المقاومة و النضال و الكفاح لأجل تحقيق حلمه في العودة إلى أرضه و لقاء حبيبته زهرة التي لم تكن امرأة عادية بل كانت رمزا للوطن "زهرة سكنتنا جميعا و أنت صائم على أسرارك ياريس"[2] فانتظارها لحبيبها و حلم لقائه هو انتظار الأرض لأصحابها .

2 – حلم العودة في رواية " السفينة " :

أشار جبرا في روايته "السفينة" باعتبار عنوانها إلى أهمية المكان في بناء أفقه الروائي ، فالسفينة و إن بدت وسيلة للسفر و الهروب و العبور من مكان إلى آخر عبر أجواء البحر و أمواجه ، فهي أيضا مكان يجمع أناسا يحملون أفكارا و مشاعرا و أهدافا موحدة ، فالسفينة تسعى في البحر متتبعة خطها المرسوم مسبقا ، و هي تشكل بذلك حركة دورانية شرطها هو العودة إلى مكان الانطلاق الأول .

---

1 عواد أوذينة ، اصوات من الحصار ، ص 119 .

[2] غريب عسقلاني ، نجمة النواتي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ،1999 ، ص 60 .

أ – الأسطورة و حلم العودة في رواية السفينة :

فوديع عساف كان يربط بينه و بين "يولسيس"(*) في سفره ، و لكته يربط هذا السفر بالعودة في كل مرة . "البحر اليوناني يحتوينا في ليله المقمر المليء بالأساطير ، أساطير الحب و القتل ، و عبير الأرض يجتذب يولسيس الهائم بين أهواء الإبحار ، لا بد من عودة لا بد "[1] .

و قد أصبح حلم عودة وديع عساف إلى أرضه أرض فلسطين هاجسه الذي يقرب و يذيب المسافات بينه و بين أرضه ، و يقول " يولسيس كان أبرع منا جميعا في الإبحار و التجوال و لكنه مثلنا إنما يهرب ليبلغ في النهاية ما يستطيع أن يغرز فيه قدميه ، و يقول هذا ترابي " [2]، في إشارة إلى أن قضية التمسك بالأرض و الإصرار على العودة إليها لا بد أن يكون أبرز ملامح الهوية الفلسطينية . و يشير عصام السلمان إلى حلم العودة ، حين ربط بين الترحال و السندباد في تطرقه إلى دورية السفر " ككل المغامرين ، ككل سندباد ،

لن يبقوا في أحضان الناس طويلا ، سيستبد بهم حس الغربة و الشهوة في الهرب من جديد [4]" .

و هو الحلم ذاته الذي لا يغيب عن ذهن أي مسافر هارب من أرضه ، و يقول : " وهل عشق السندباد يوما ؟ كان السندباد لا يعرف الحب لأنه بحار ، و إلا كيف يترك لمى و يستسلم لأحضان البحر ؟ " ، و هنا يؤكد يحلم عصام السلمان بالعودة و يؤكد على ضرورة ذلك حين يشير إلى رمز السندباد ، و يربط بين لمى و حلم العودة .

(*) تحكي الاسطورة عودة يولسيس ملك ايثيكا بعد رحلته التي دامت عشر سنوات بسبب حصار طروادة وطوال هذه الفترة تبقى زوجته بينيلوبي بانتظاره، ممتنعة عن الزواج، رغم العروض الكثيرة التي تتلقاها، تنتهي الملحمة بوصوله إلى إيثاكا وقيامه بالانتقام من الذين اضطهدوا زوجته بتلك الفترة.

1الرواية ، ص 71 .

2الرواية ، ص 225 .

4 الرواية ، ص 82 .

وتحدث عصام السلمان عن إيكاروس(*) و ربط بينه و بين حلم العودة " تحدثنا عن إيكاروس و تساءل وديع : "ترى أين جزيرة إكاريا التي وقع في مياهها بعد طيرانه ؟ هل سنمر بها ؟ قلت : هارب آخر ! و لكن جناحاه خذلاه "

تحدث جبرا عن السفينة إيكاروس "اليونانية" و رحلة عودته إلى بلاده أثينا ، بعدما سئم الإقامة في جزيرة بعيدة ، و كيف جرب الطيران محاولا العودة إلى وطنه .

تعامل جبرا في روايته مع رموز السفر و المغامرة في البحر ، و إشارتها إلى العودة مرة أخرى ، برز حلم العودة بعد التجربة ، و من هنا أبدل جبرا دلالة البحر على الغموض و اللانهاية إلى دلالة العبور و العودة إلى الوعي بعد التجارب التي تسم بالقلق و الظلمات .

و لا يزال وديع عساف يحلم بالعودة إلى أرضه حتى و لو اقتضى الأمر التضحية و الموت " اركض يا عصام باستمرار تجاه أرضي التي أحاطوها دوني بألف كيلومتر من الأسلاك الشائكة ، اركض نحوها و في يدي قنبلة ، و أنت ترفض أرضك " [1]

ب – الأرض / الأنثى و حلم العودة في رواية السفينة :

سيطرت مها على كيان وديع ، و امتلكته امتلاكا ، بل و استحوذت على قرارة نفسه ، فلم يستطع إقصاء سيطرتها عليه طوال الرحلة ، و شكلت ملاذه و أرضه التي لا يستطيع الفرار منها ، لا بد من العودة إليها في نهاية المطاف " و لئن كنت حسبت في أول السفرة أنني خلعتها عني خلع المعطف القديم ، فإن المعطف هو معطفي و لن أشعر بالدفء إلا إذا عدت إليه و لبسته من جديد "[2]

(*) تدور أسطورة "إيكاروس" حول محاولته العودة إلى بلاده أثينا بعد سأمه الإقامة في "كريكت" ، و لما حبسه "مينوس" في الجزيرة ، قام إيكاروس بتثبيت الريش حوله بالشمع محاولا الطيران إلى وطنه ، لكنه سقط في الماء بعدما ذاب الشمع بسبب حرارة الشمس .

2 الرواية ص، 82

[2] الرواية ، ص 224 .

شكل حلم وديع و انتظاره لقاء "مها" حلم العودة إلى الأرض و التمسك بها و الاستقرار فيها " حالما ترى مها ذلك سينتهي الفصام بينها و بين ما أحب ، سيتحد الشقان ثانية ، كما يجب أن يتحدا ، سأحملها إلى أرضي ، و أحرث كلتيهما " [1]

يؤكد جبرا هنا أن العودة إلى مها هي العودة إلى الأرض ، هي التئام مها بالأرض ، بالقدس ، بفلسطين .

تجلى حلم العودة إلى الأرض في الرواية ، في صورة حلم العودة و الحنين إلى

الأنثى / الأرض ، و منه الحوار الذي دار بين وديع عساف و عصام السلمان "غير أن وديع بقي على إصراره ، قال : الأرض الأرض ، هي السر في حياتك ، مع لمى أو بغير لمى ، ستجبرك الأرض عودة إليها من جديد مهما فعلت ، أينما ذهبت ، لمى هي التراب ، الزرع ، الماء ، إنها الأرض ألا ترى يا وديع أن حرمانك ليس جنسيا بل أرضيا ، المحرومون من المرأة لا يكفون عن الحديث عنها و أنت محروم من الأرض [...] سأبحث عن إمرأة عرف عنها أنها منجبة ، أرملة ما ربما " [2]

أنثى عصام هنا لمى هي أرضه ، سيشده الحنين إليها ، ستجره دون هوادة ، بوصفها رحما للولادة ، و رمزا للإخصاب .

يسيطر حلم العودة على وديع ، فيجمع المال طيلة سنوات سفره لتحقيق حلمه بالعودة و الزواج و زراعة الأرض " الأرض التي أشتريها سأزرعها بيدي ، سأهجر بغاء التجارة ، سأزرع الكروم و أشجار الصنوبر " [3] ، فحلم العودة و الحنين إلى الأرض لا يكاد يغادر ذهن وديع طيلة حضوره في الرواية .

---

[1] الرواية ، ص 225 .

[2] الرواية ، ص 84،85 .

[3] الرواية ، ص 41 .

ت - الجسد و حلم العودة في رواية السفينة :

أنتج جبرا خطابا روائيا مميزا في السفينة ، و كانت الأرض الحدث المركزي الذي تدور حوله كل الأحداث الفرعية ، و قد استطاع جبرا بعبقريته خلق أرض أخرى موازية و بديلة للأرض المفقودة ، و التي هي هدف جل من في السفينة "الجسد الأنثوي" الذي تحول إلى وطن بديل ، الكل يحلم بالعودة إليه ، و الاستقرار فيه ، و قد تحول جسد الأنثى إلى " مكان هندسي لإعادة غزو الذات ، الأرض ، التي ينبغي ارتيادها المرصاد اللانهائي للأحاسيس التي لا تحصى ، التي تحتويها ، و مكان للمجابهة المرغوب بها مع المحيط " [1]

يصور جبرا حلم العودة إلى الأرض و التضحية في سبيل ذلك ، و عدم الهروب و المجابهة يقول : " ذلك الجانب الذي عرفه فالح كما كنت أريد لنا،أنا و مها و عصام و لمى أن نعرفه، من خلال العاصفة ، نشوة الجسد، من خلال العذاب، انتصار النفس من، خلال مجابهة العدو، كبرياء الرفض ، لا يمكن أن أرضى بشئ على مثل هذه القاعدة ، أن اقول لا هذا حق أتشبت به بأضافري بأسناني و اقتضى الامر ذلك نزف دمي"[3]

إن حلم العودة إلى الارض و استعادتها بكل الوسائل جسده جبرا في الرواية في إرادة الجميع إستعادة للجسد الانثوي بكل الوسائل حتى و ان تطلب الامر نزف الدماء .

و يعتبر حلم العودة الحلم و الذكريات من أهم المصادر التي تعين الكاتب على اختيار الصور ونسجها ، و الأديب جبرا يجد في الحلم منبعا للعطاء ، فكلما اشتدت الأزمة و قويت المأساة وجد جبرا في الحلم سبيلا لأدبية أعماله و تميزها ، و قد اتخذ الحلم في السفينة شكل المأساة خاصة فيما تعلق بحلم العودة .

تجسدت المأساة في كل ما عاناه أهل السفينة من أجل تحقيق أحلامهم المختلفة .

---

[2] دافيد لوبروكون ،أنتروبولوجيا الجسد والحداثة،تر محمد عرب،المؤسسة الجامعية للنشر ،بيروت، ط2 ،1997،ص150 .

3 الرواية، ص 240

تجسد حلم العودة في السفينة في نهايتها ، حيث النزول و الهبوط منها ، هذا الهبوط مثل العزم على العودة إلى الجذور ، إلى الأرض ، فعصام و لمى يعودان إلى بغداد ، أما وديع و مها فالهدف هو أرض القدس ، و هذه العودة تعتبر تعبيرا عن الانطلاق من جديد .

جاءت العلاقة بين المرأة الأنثى والمكان في رواية السفينة لتستعيد أساطير الحب ، الدالة على المقاومة واسترجاع الشيء المسلوب ، ومحاولة استرداد المكان واستعادته والعودة إليه ،عن طريق المقاومة والفداء، لا عن طريق الهرب والانتحار.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : الأرض و العودة دراسة بنيوية.

أولا – التشكيل المكاني في الرواية .

ثانيا – التشكيل الزماني في الرواية .

ثالثا – الشخوص و الحوار

التشكيل المكاني و الزماني في رواية السفينة :

أولا :

التشكيل المكاني في الرواية : يطرح البحث في مفهوم الفضاء الروائي إشكالية منهجية ومعرفية معقدة ، تقف حجر عثرة لبلوغ الغاية المنشودة ، و هي الإمساك بمنهج قار في تحليل البنية الفضائية للنص السردي ، ما أدى إلى ظهور خلط بين مصطلحي الفضاء (Espace) و المكان (Lieu) ، و هي كثيرة في نقدنا العربي .

اقترح الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض مصطلحا انفرد به ، و هو مصطلح "الحيز" ، و قد برر اختياره (بأن مصطلح الفضاء قاصر بالقياس إلى الحيز ، في حين يمكن أن نسقط المكان على الحيز الجغرافي وحده) [1]

فتشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها شيئا محتمل الوقوع ، فهو يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور و الخشبة في المسرح ، و الحدث لا يمكن تصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين ، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني باعتباره يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة (و يعتقد بعض النقاد أنه كل شيء في الرواية) [2] ، إذن فالمكان عنصر أساسي في وجود أي رواية ، بحيث لا يمكن تصورها بدون مكان .

1- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 ، العدد ، 240 ، ص 121

[2]– حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظورالنقد الأدبي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 1، 1991 ،ص 62

2 مفهوم المكان :

أ – **المفهوم اللغوي** : المكان من الناحية اللغوية على اختلاف المعاجم يعني " الموضع " ، إذ أورده ابن منظور في معجم لسان العرب تحت جذر " مكن " [1] ، (و المكان الموضع ، والجمع أمكنة و أماكن جمع الجمع) [2]

و لقد خص الله تعالى ذكر المكان باللفظ الصريح في النص القرآني في أكثر من موضع ، فجاء في قوله تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا " الآية 16 – سورة مريم

ب – المفهوم الاصطلاحي (الفني) : هو المجال الذي تسير فيه أحداث الرواية من تحويلات على مستوى الشخصيات ، (و من هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب ، بل كعنصر حكائي قائم بذاته ، إلى جانب العناصر الفنية الأخرى) [3]

ويرى محمد مصطفى حسانين أن (مصطلح المكان بالإنجليزية –Space– يشير في الخطاب الروائي إلى مفهوم إجرائي، يتشكل من خلال البنية الوصفية المسرودة، والتي تنقله إلينا لغة التخييل، ليعبر عن أبعاد مصنوعة بواسطة الألفاظ، تخدم هذه الأبعاد حركة السرد في كليتها، وفي تتابعها وتواليها، ولا تنفصل في الوقت ذاته عن المستويات الإشارية والرمزية،التي يسعى المحكي إلى تجذيرها باللغة)[4]

---

[1] إبن منظور ، لسان العرب ، ج 2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1993 ، ص 569

[2] المرجع نفسه .ص 569

[3] حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص 63 .

[4] محمد مصطفى حسانين ، إستعادة المكان دراسة في آلية السرد و التأويل رواية السفينة،دار الثقافة و الاعلام ،الشارقة، 2005،ص 10

.

2 – **بنية المكان في رواية السفينة** : السفينة على المستوى المرجعي ذلك المكان الذي يسافر عليه الإنسان قاطعا البحار و المحيطات ، إنه مكان مغلق المساحة ، وهو كذلك مكان آمن من العواصف ، و شراسة الكائنات البحرية ، و قد ارتبطت السفينة بالإنسان منذ أقدم العصور .

أ – **السفينة** : السفينة في رواية جبرا إبراهيم جبرا أكثر من وسيلة نقل خارجية ، فهي الوعاء الفكري المبحر من الشرق إلى الغرب ، وعلى ظهرها نماذج بشرية طبقية تحمل معها تناقضاتها ، كلهم عراقيون ، أو من عاشوا في العراق ، كوديع عساف الفلسطيني ، أو من لحقوا بالسفينة كبعض الشبيبة المصرية ، و للسفينة – كمكان – لها عدة دلالات فكرية :

–السفينة المبحرة يونانية الأصل ، و لأصلها اليوناني ارتباط فكري بالبحر الأبيض المتوسط و حضارة اليونان و ما حملته إلى العرب من ثقافة و علوم و فلسفة ، هذه السفينة تحمل على ظهرها شخصيات من أرض الصراع (بعضها هارب من الوضع السياسي المعقد بعد 1957 ، و بعضها مسافر أملا في إيجاد بقعة يرقص فوقها) [1]

–تبحر السفينة من بيروت ، حيث بيروت ملتقى الحضارات و الاتجاهات كاليونان ، السفينة اليونانية إشارة للحضارة الجدلية التي زرعتها اليونان في الأرض العربية ، و نمت من داخلها ، و ها هي الآن تصنع ثورة ، و عندما يشتد الصراع تعود – اليونانية – لنقل شخصيات هذا الصراع إلى أوربا ، التي يتوق لها المشارقة هاربين من مدن العذاب و الحزن و القمع . تعد السفينة مكانا للانقطاع عن الزمن الماضي الواقعي بكل أثقاله و تتفتح على عالم الخيال و التطلع إلى مشهد جديد . تنتقل السفينة من مكان إلى آخر ، من بيروت إلى الإسكندرية إلى أركيلون إلى بيربوس و نابولي و جنوة و مرسيليا (يصاحب هذا

[1] ياسين النظير ، الرواية و المكان ، سلسلة ثقافية عراقية،وزارة الثقافة ، بغداد ، ط 1، 1986 ، ص 129 .

الانتقال تحول الشخصية ، فالرحلة مستمدة من أسطورة البحث ، أما الانغلاق في المكان الواحد دون الحركة فيعبر عن العجز و عدم القدرة على التفاعل مع الآخرين) [2]

–لم يكن سطح السفينة منبسطا كالعادة ، بل كان متعرجا صاخبا مضطربا متمايلا ، كانت الشخصيات فيه منسجمة مع ما يصير من اهتزاز و اضطراب ، و قلما تجد جبرا لا يصفه إلا متحركا .

ب – البحر : البحر الأبيض المتوسط الذي شهد هو الآخر نقل الحضارات و تزاوج الثقافات ، كما شهد سفن الغزاة ، ها هو يشهد اليوم الدنس التاريخي المتمثل بالكيان الصهيوني في فلسطين ، فلا غرابة أن يكون من بين الشخصيات الرئيسية فلسطينيون عاشوا الصراعات العربية ، البحر في رواية السفينة أكبر من بحر و أوسع من طريق موصل بين ميناءين ، إنه البحر الطري الناعم العطوف ، إنه جسر الخلاص ، هو العودة إلى الجذور الثقافية ، و جبرا كان كاتبا متمرسا جعل من البحر وعاء فكريا عاما و شاملا ، حتى أنه لم ينه سفينته عند ميناء واحد ، بل هي سفينة سياحية تتجاوز فيها إرادات متصارعة ، و تتوزع على أمكنة و موانيء مختلفة (البحر عند جبرا وعاء للتاريخ و أسلوب لفن الرواية يجمع فيه الخيال الأسطوري مع الواقع الجديد ، الماضي مع الحاضر) [3] ، و لا ينسى جبرا صفة مهمة تقليدية من صفات البحر هي الحكمة مع شيء طفيف من الأنوثة (البحر الطري ، الناعم ، الأشيب ، العطوف) [4]

---

[2] سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2004 ، ص 77 .

[3] ياسين النظير ، الرواية و المكان ، ص 121 .

[4] الرواية ، ص 5

ثانيا :

التشكيل الزماني في الرواية : لم يعد الزمن عنصرا واحدا من عناصر الرواية العديدة ، بل أصبح الدينامية التي تقوم عليها الرواية ، فالزمن أو بالأحرى البناء الزمني هو الشكل الداخلي و الحقيقي للرواية ، و بجهود عدد من الرواة و النقاد تم وضع أسس نظرية للزمن تكون قابلة لأن تطبق على الرواية .

إن الزمن هو أحد الإشكاليات العظيمة التي يقف أمامها كل من كاتب الرواية وقارئها ، فكلما تمكن الراوي من إخصاب روايته بعدد أكبر من التقنيات الزمنية ازداد نهم القاريء إلى المتابعة و توسعت رؤاه حول الموضوع .

1 – **مفهوم الزمن :** للزمن مفهوم لغوي و آخر اصطلاحي :

أ – **مفهومه لغة :** ورد في لسان العرب لابن منظور أن : (الزمان اسم لقليل من الوقت أو كثيره ، و يكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر) [1]

ب – مفهومه اصطلاحا : يتجسد مفهوم الزمن في الاصطلاح السردي على أنه : (مجموعة العلاقات الزمنية : السرعة ، التتابع ، البعد ... إلخ بين المواقف و المواقع المحكية و عملية الحكي الخاصة بهما ، و بين الزمان و الخطاب المسرود ، و العملية المسرودة) [2]

ت – أهمية الزمن في الحكي : الزمن يعمق الإحساس بالحدث و بالشخصيات لدى المتلقي و (لأن الوجود هو الحياة و الحيلة هي التغير و التغير هو الحركة و الحركة هي

[1] إبن منظور ، لسان العرب ، المجلد 3 – ص 195

[2] عبدالمنعم زكريا ، البنية السردية في الرواية ، عين للدراسات و البحوث ، مصر، ط 1 ،2009 ، ص46 .

3 باديس فوغالي ، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1،2008 ،ص159.

الزمان فلا وجود إذن إلا بالزمان[3] و عادة ما يميز الباحثون في السرديات البنيوية بين مستويين للزمن:

ث – **زمن القصة** : و هو زمن وقوع الأحداث المروية في القصة ، فلكل قصة بداية و نهاية ، يخضع الزمن فيها للتتابع المنطقي .

ج – **زمن القص** : و هو الزمن الذي يقدم من خلاله السارد القصة ، و لا يكون مطابقا – بالضرورة – لزمن القصة . (بعض الباحثين يستعملون زمن الخطاب بدل مفهوم زمن السرد)[1] ، و منه يتضح أن زمن القصة يخضع إلى تسلسل منطقي تكون فيه الأحداث متسلسلة و متوالية أثناء السرد ، أما زمن السرد فالأحداث تكون مبعثرة و الراوي يلعب بالزمن كما يشاء .

ح – **زمن القصة في السفينة** : يمكن تحديد الزمن القصصي الممتد من أوائل العشرينيات إلى أواسط الستينيات عن طريق الإشارات الزمنية ، فالساردان عصام السلمان و وديع عساف يسترجعان أحداثا حصلت في العشرينيات ، يقول وديع عساف : (في أوائل أيار عام 1948 كان القدس الجديدة ساحة قتال بين العرب و اليهود)[2] ، ثم يتحدث بعد ذلك عن أكثر من خمس عشرة سنة فيقول : (عصر ذلك اليوم ، و بين البكاء و النحيب كتمت أنفاسي على قسم أتذكره كل يوم لأكثر من خمس عشرة سنة)[3].

يمكن من خلال الجمع أن نحدد نهاية الزمن القصصي لوديع عساف – و جميع الموجودين في السفينة – و هي سنة 1964 ، أما البداية فكانت في أوائل العشرينيات.

---

1 محمد بوغرة ، تحليل النص السردي ، تقنيات ومفاهيم ، الدار العربية ، الرباط ، ط 1 ، 2010 ، ص 7،8.

2 الرواية ، ص 60 .

3 الرواية ، ص 71 .

و جاء على لسان عصام السلمان إشارات زمنية و أحداث قبل ولادته تدل على بداية الزمن القصصي (و عندما أخذت الحكومة العراقية في العشرينات تسوي الأرض بكل ما في تصنيف ملكيتها من تعقيد و غموض)[1] ، و إذا كان مدى زمن القصة لكل من وديع عساف و عصام السلمان طويلا نسبيا ، فإنه بالنسبة إلى إميليا لا يتعدى السنوات القلائل قبل زمن الحضور .

انشطر زمن القصة في السفينة إلى ثلاثة أقسام : زمن عصام ، زمن وديع ، زمن إميليا .

خ – **زمن القص في السفينة** : يتحدد زمن القص بسفر السفينة من بيروت في أوائل حزيران حتى رسوها في نابولي بعدة أيام، وقد صرح جبرا بأن الزمن في السفينة أسبوع واحد.

2 – **الاسترجاع** : و هو استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يحكى ، ويمكن أن يكون خارجيا يعود إلى ما قبل بداية الرواية ، و يمكن أن يكون داخليا يعود إلى ماض لاحق لبداية الرواتب (و هو أن يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية و يرويها في لحظة لاحقة لحدوثها) [2] .

و قد اتبع الساردون في السفينة هذا الأسلوب لتعريف المروي عليه أو القاريء على حد سواء بماضي الشخصيات و البواعث التي تدفعها لاتخاذ قرارات بعينها.

---

[1] الرواية ، 165 .

[2]. سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية "دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ" ، ص 40 .

أ – استرجاع عصام السلمان :

اسم المسترجع	الصفحات المسترجعة	عدد الأسطر المسترجعة
استرجاع عصام	38 – 5	208 سطر
	86 – 72	130 سطر
	115 – 100	82 سطر
	182 – 148	286 سطر
	222 – 195	186 سطر

سعة الاسترجاع في خطاب عصام السلمان 892 سطرا ، ما يشير إلى الدور الكبير الذي يلعبه الاسترجاع في بناء الرواية ، و إلى كون شخصية عصام شخصية يلعب الماضي دورا مهما في حياتها .

يسترجع عصام السلمان أحداثا من زمن الطفولة فتكشف عن جوانب من حياة التشرد و الضياع الذي عاشه بعيدا عن والده ، الذي دخل في دوامة الخلافات و الثأر و الانتقام ، هذا الاسترجاع جاء تبريرا لسؤال مطروح في ذهن القاريء في زمن الحضور و هو : لماذا لم يتزوج عصام من لمى سابقا ؟ (و ذات يوم كنت في الخامسة من عمري رأيته نائما على الأرض بجانبي فتحت عيني في الصباح ، و إذا برجل طويل هائل ، نائم على "فجة" قرب فراشي ، حليق الذقن له شارب أسود كثيف يكاد يغطي فمه ... في الحال عرفت من هو و صحت بابا) [1]

يعود عصام في السلمان استرجاعاته إلى سنوات قلائل قبل زمن الحضور (في صيف 1957 قبل انتهائها من دراستها بسنة ، و قبل انتهائي من دراستي بسنتين في بغداد

[1] الرواية ، ص 165 .

، لم نكن نتقابل إلا سرا ، بعد أن نلجأ إلى ألف خديعة ، لقد خشيت لمى أن يعلم أبوها بما بيننا ، كما لم أكن بعد مسعدا لمجابهة إخوتي و أمي بالموضوع) [1]

ب – استرجاعات وديع عساف :

اسم المسترجع	الصفحات المسترجعة	عدد الأسطر المسترجعة
استرجاع عساف في خطاب عصام	25 – 15	161 سطر
استرجاع عساف	71 – 38	629 سطر
	99 – 87	5 سطر
	147 – 116	21 سطر
	240 – 223	14 سطر

سعة الاسترجاعات في بداية سرد وديع أعلى منه في الوسط و للنهاية ، لذا ينفتح سرده بداية على فضاء فلسطين و على أمكنته المقدسة و على أزمنته التي قضاها في مسيرة حياته .

يعود وديع عساف إلى استرجاعات من نص الطفولة لينفتح خطابه على الذاتي وعلى الموضوعي ، حيث تعرض سيرة الشعب الفلسطيني (قبل سنوات كثيرة و أنا طفل أخذ أحد الرهبان جماعة منا في سفره إلى يافا ، و في الميناء صعدنا إلى أحد السفن ، التي كانوا يحملونها بالبرتغال) [2] ، و يعود وديع عساف في استرجاعاته إلى زمن وسطي بين البعيد

[1] الرواية ، ص 168 .

2 الرواية ، ص 51

و القريب ، يعالج من خلاله قضايا ذاتية و موضوعية (في أوائل أيار عام 1948 كانت القدس الجديدة ساحة قتال بين العرب و اليهود ، لم يكن الجيش البريطاني قد غادرها ، و إن كان قد ترك الأمر للعرب و اليهود ، متظاهرا بالحياد التام ، و كان المجاهدون العرب قد ضمنوا السيطرة على البلدة القديمة ، فقد تمركزوا في بضعة أحياء من المدينة الجديدة .)[1]

يرتد وديع عساف إلى استرجاعات قريبة من زمن الحضور ليعالج من خلالها قضاياه الذاتية (لقد نجحت شركتي هناك أكثر مما كنت أتصور النجاح ممكنا منذ أواسط الخمسينات و للشركة فرع هام في بيروت)[2] .

3 – الاستباق : و هو حكي الشيء قبل وقوعه ، أو هو إيراد حدث آت ، أو الإشارة إليه مسبقا ، و هذه العملية تسمى في النقد التقليدي "بسبق الأحداث" .

تكاد رواية السفينة تخلو من تقنية الاستباق إلا ما ندر ، فجاءت بعض الاستباقات على شكل تنبؤ و توقع ، ذلك أن الشخصية كانت تحلم بمستقبل واعد يغير من نمط معيشتها ، يقول وديع عساف : (سأشتري أرضا أخرى و سأبني بيتا كبيرا من حجر سأهشم الصخر و أفرش عليه ترابا من تربتنا الحمراء الخصبة الجميلة)[3] .

4 – المشهد : هو عبارة عن حدث مفرد يحدث في زمان محدد ، أو (هو قصة موجزة منتزعة من محيطها الحياتي لغرض التأكيد و الانفراج)[4] ، فهو عبارة عن لحظة مصورة و مسجلة صوتيا ، أو شخصية في خيال القارئ .

---

[1] الرواية ، ص 40

[2] أسعد محمد علي ، البحث عن وليد مسعود و تنويعات الشكل الموسيقي ، مجلة الأقلام ، العدد1،1973، ص17.

[3] الرواية ، ص 84

[4] سرميليان ليون ، بناء المشهد الروائي ، تر فاضل ثامر ، مجلة الثقافة الاجنبية ، العدد 3 ، 1987 ، ص 105 .

يميل حاضر السرد إلى تقنية المشهد لأنه يتمثل في عدة أيام قضتها الشخصيات على متن السفينة ، فيحتاج إلى التطويل و الإبطاء الحركي ، بينما يرتد الاسترجاع إلى ماض بعيد يزيد على الأربعين عاما ، فيحتاج إلى التسريع المتمثل بالتلخيص ، و القفز عن أزمنة طويلة بغية خلق منطق خطاب .

الشخصية	كم المشاهد	كم أسطر الخطاب العام	النسبة التقريبية
عصام السلمان	678 سطرا	2908	4,3
وديع عساف	596 سطرا	2368	4

يظهر الجدول أن تقنية المشهد مستخدمة بما يربو على ربع الخطاب العام ، و تعكس قدرة السرد على مسرحة الأحداث ، و إعطاء المشهد أهمية بارزة ، ذلك أنه يوفق بين السرد والزمن المساوي له فيخلص القاريء من ملل الوصف ، كما هو الحال في الحوار التالي :

- " سندفن حينئذ معا .
- و انا في ذراعيك !
- يا للفضيحة ، ما الذي سيقوله الناس ؟
- و ما يهمني من الناس ؟ قل لي ماذا يأكلون في نابولي ؟
- بيتزا نابوليتانا " [1]

5- **الحذف** : و نعني به كذلك القفزة ، و تتم بتخطي وحدات زمنية دون التحرك على مستوى محور السرد ، اعتمادا على قرينة ، و ترتبط القفزة بذاكرة السارد التي تنحاز إلى

1 الرواية ، ص 108

[2] أمنة يوسف ،تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ،ط 2 ، 2015، ص 85

لحظات معينة فتدونها ، و تقفز عن لحظات ليس لها دور وظيفي تكويني فتهملها ، و" القفزة نوعان"[2] :

- قفزة مقرونة بمؤشر زمني : يقوم السارد بتحديد المدة التي تم القفز عنها بواسطة مؤشر زمني محدد على الواقع (غير أنني عرفت كل شيء بعد فوات الأوان ، بعد مضي عدة أشهر على علاقة بيننا)[1] .

- قفزة غير مقرونة بمؤشر زمني "الحذف غير المحدد" : يعمد السارد إلى الانتقال من وحدة زمانية إلى أخرى دون إقامة روابط ، أو الإشارة إلى الحذف الذي تم بقرينة زمانية معينة (لذلك فالقفز تحقق في الرواية المعاصرة مظهر السرعة في عرض الوقائع في الوقت الذي كانت الرواية الواقعية تتصف بالتباطؤ)[2] .

يقول وديع عساف : (سلمنا الشهيد إلى ذويه مع شهداء آخرين عصر ذلك اليوم ، و بين البكاء و النحيب كتمت أنفاسي على قسم أتذكره كل يوم لأكثر من خمس عشرة سنة ، مها أتعلمين أن بوغاز كورنيث أمسى وراءنا)[3] ، نلاحظ في المقطع السابق القفزة التي تخطاها السارد من حكي وقع في أول الشباب ، و يقع في ثنايا تقنية الارتداد إلى حكي يقع في زمن الحضور ، (و هذه التقنية لها حضور في روايات تيار الوعي القائم على التداعي في زمن الارتهان ، و القفز ارتداد إلى الماضي و العودة إلى الحاضر)[4] .

---

[1] أمنة يوسف ،تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ، مرجع سابق، ص 86

[2] حميد لحميداني، بنية النص السردي ، ص 77

[3] الرواية ، 71 .

[4] آمنة يوسف ، تقنيات السرد ، ص 86 .

6 – الحدث : يعتبر الحدث جزءا مهما في العمل الروائي ، و المرتكز الأساسي الذي تبنى عليه الرواية ، حيث يعرفه أرسطو بأنه (سلسلة من الوقائع المتصلة التي تتسم بالوحدة والدلالة ، و تتلاحق من خلال بداية و وسط و نهاية ، فهو نظام نسقي من الأفعال) [1]

أ – **آليات توظيف الحدث في رواية السفينة** : من أبرز الخصائص الفنية لبناء الحدث المتسلسل الاستهلال المتميز (فالاستهلال يقدم إطارا عاما يحدد بوساطته زمان الحدث ومكانه و يرصد في الوقت نفسه تطور الحدث في الرواية) [2]

و قد حدد جبرا إبراهيم جبرا المكان في استهلاله لرواية السفينة ، فهو يبدأ بقوله :

(البحر جسر الخلاص ، البحر الطري الناعم ، الأشيب ، العطوف .. البحر خلاص جديد إلى الغرب) [3] ، تلاعب جبرا بالأزمنة داخل القصة و هو عمل جمالي لا يؤثر على الأحداث من حيث الوجود ، و إنما من حيث الصياغة و الترتيب ، و يضع جبرا في رواية السفينة شخصياته في السفينة ليبدأ حاضر الحكاية ، فالسفينة هي حاضر كل الشخصيات ، أي أن تجمع كل الشخصيات للرحلة هو بداية زمن الرواية من نقطة الحاضر ، ثم تعود خلال ذلك إلى الماضي لتكتشف عن حياة شخصياتها : الماضي ، الحاضر ، السفينة ، بيروت ، عواصم عربية أخرى .

إن ما فعله جبرا في رواية السفينة هو استخدام جديد للزمن ، يتفق و مجمل التغيرات التي عرفتها الرواية الحديثة ، حيث اعتمد الترتيب السردي للأحداث ، كما اعتمد جبرا التضمين الذي هو إدخال قصة في قصة أخرى ، و للتضمين مستويين ، مستوى الحكاية ، فتكون الحكاية المقحمة في الحكاية الأصلية مثلا مصغرا عنها ، أما مستوى الرواية حيث

---

[1] وئام رشيد ، تقنيات السرد في الخطاب الروائي العربي الفلسطيني ، ماجستير ، جامعة غزة ، 2010 ، ص 38 .

[2] عبدالله إبراهيم ، البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،1988 ، ص 190.

[3] الرواية ، ص 5 .

يقطع حبل الرواية الأصلية لتبدأ رواية أخرى تتضمن الأولى ، فيمكن لنا أن نضع قصة الأبالسة لدستويفسكي التي وردت في رواية السفينة نموذجا للمستوى الأول ، حيث يدور حوار بين "فالح" و "وديع عساف" و "محمود" عندما تقدم "لمى" زوجة فالح نسخة من رواية الأبالسة ، و قد وضعت خطوطا تحت العبارات المقصودة و المهمة ، و يخبر "محمود" "فالح" جهرا أنه يشم في أقواله رائحة الانتحار ، معللا هذه النزعة بالانتماء إلى طبقة اجتماعية منهارة ، فيرد "فالح" : (محمود ، هذه النغمة سمعتها كثيرا من قبل ، إنها جزء من إرهاب يوجهونه لكل من يقول : محصت معطياتكم) [1] ، أما على المستوى الثاني "مستوى الرواية" فيظهر عندما انتقل وديع عساف ، و هو يتابع حركة السفينة إلى الماضي ، حيث سرد لنا قصة صديقه "فايز" و استشهاده ، و يمكن النظر إلى هذه الصنعة على أحد المسويات ، على أنها محاولة لملء الفراغ ، و على مستوى آخر على أنها بحث على التنويع .

ثالثا :

1 – الشخوص "**الشخصيات**" : تعد الشخصية الروائية من أبرز و أهم العناصر في البناء الروائي ، فهي النقطة المركزية التي يرتكز عليها ، و قد ينصب جل اهتمام الكاتب الروائي على هذا العنصر ، فتكون المحور الرئيس الذي تتحرك به ، و من خلال عناصر البناء الفني الأخرى في الرواية . ويعتبرها سعيد يقطين (من أهم مكونات العمل الحكائي لأنها تمثل العنصرالحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي) [2]

[1] الرواية ، ص 127

2سعيد يقطين، قال الرواي،البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997، ص 87

2 سوسن البياني،جماليات الشكل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق، الاردن، ط1،2012،ص143

أ – **مفهوم الشخصية الروائية :** (هي كائن نصي معنوي ، و ليس ماديا ، يتجسد تشكيليا و جماليا على الورق) [1]، و هي محض الخيال ، يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة ، و من حيث طبيعة دورها الروائي تكون رئيسة ، تدور حولها الأحداث ، و ترتبط بها ، و مترجمة بشكل مباشر أبعاد الفكرة الروائية الأساسية ، و أخرى ثانوية معززة و معمقة لجوانب الشخصية الرئيسة ، و داعمة لها في دورها في الحدث الروائي .

ب – **توظيف الشخصيات :** جاء اهتمام جبرا بجذور الشخصيات المركزية – و غالبيتها فلسطينية أو لها علاقة حميمة بالشخصية الفلسطينية – على مستويين :

* المستوى الأول : الماضي الخاص ، و هو ماضي الشخصية بصفته جزءا من تجربة الحياة التي عاشها .

* المستوى الآخر : يمتد إلى تجارب الآخرين آباء و أجدادا ، يتوارث عنهم المرء صفات و علامات فارقة تدفع بالشخصية إلى أن تتعامل مع واقعها على نحو متميز و فريد .

في رواية السفينة نلحظ اهتمام جبرا بجذور شخصيته المركزية "وديع عساف" من خلال متابعة ماضيه و المجسد في علاقته بصديقه "فايز" الذي يقتل عندما كان كلاهما ينفذ عملية بطولية في الدفاع عن الأرض ، فتظل ذاكرته حية و فاعلة و مؤثرة في نفس صديقه وديع . و قد نستغرب أن تعلق صورة في ذهن صبي لا يتجاوز الرابعة عشرة بهذا الشكل ، إلا أننا يجب أن نفهم أن جبرا هو الذي يتكلم عن طفولته مع تجربة "فايز" التخيلية ،

1 سوسن البياني ، جماليات الشكل الروائي ، دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق، الاردن، ط1، 2012،ص143

بوصفها مرحلة عاش دقائقها الخفية و الظاهرة ، خاصة و أن الوصف الميكانيكي يكاد ينطبق على أوصاف جبرا لبيت طفولته .

و كأن جبرا كان يريد الربط في شخصيتي "وديع" و "فايز" بين المكان الضارب عمقا في الأرض و الزمان ، و لهذا كان لوديع في السفينة شخصية مؤثرة فاعلة في نفوس الآخرين ، لا سيما عصام ، و كان حديثه المستمر عن الأرض ، و ضرورة العودة إليها عاملا قويا في دفع باقي الشخصيات إلى أن يغيروا من مواقفهم ، و يكفوا عن محاولة الهرب .

لقد أدرك جبرا الرؤية الدينية نتيجة لأكثر من معاناة ، و عاش المشكلة الدينية بعمقها الفلسفي ، و عمقها الإنساني ، و جعل أبطاله أيضا يعيشونها ، و إذا تفحصنا مواقف بعض أبطاله في رواياته ، فإننا نجدها متأثرة بعمق النفس الديني ، فوديع عساف يرفض جميع أنواع العواطف ، يرى أن العاطفة الوحيدة التي في داخله هي العاطفة الدينية التي تتحرك على أنغام الكنيسة (إنا إن كانت لدي عواطف فهي دينية ، تتحرك بموسيقى الكنيسة)[1] .

تعد الثقافة الأوربية عند جبرا إبراهيم جبرا مكونا أساسيا و مميزا له ، ساعد في خلق آفاق جديدة ، و أثرى المساحة الإبداعية التي يتحرك عليها الكاتب ، و دعم رؤاه .

ت – حركة الشخصيات : حركة معظم الشخصيات في أمكنة واقعية واضحة ، فحركة "وديع عساف" يمر بالقدس حيث الانتماء ، و الكويت للعمل ، و بيروت لغرض الدراسة ، و من أوربا للهرب ، و تظل القدس لديه هي المدينة الأمل .

و تتحدد رحلة "الدكتور فالح" بأمكنة محددة تكون بغداد فيها نقطة الانطلاق إلى لندن لغرض الدراسة ، و بيروت للمغامرة ، و لندن هروبا ، ثم العودة إلى بغداد جثة هامدة .

1 الرواية – ص 19

يلاحظ على شخصيات رواية السفينة أنها تعود إلى نقطة انطلاقها بصورة مختلفة : فوديع عساف ينطلق من القدس و تظل هي الأمل لديه ، و الدكتور فالح ينطلق من بغداد بكل بأسه و ضجره ، لكنه يعود إليها في موته ، و كذلك حال عصام السلمان ... ويوضح أحمد الزعبي " حركة شخصيات الرواية عبر أمكنتها الواقعية "[1]

عصام : بغداد – بيروت ، فالح و لمى : بغداد – بيروت ، وديع : الكويت – بيروت ، إميليا ، جاكلين : بيروت – السفينة إلى أوربا ، محمود الراشد : دمشق ، يوسف حداد : بيروت – بيروت ، عفت : القاهرة .

يقدم لنا جبرا ما يسمى بالطباق المشهدي بين فضاءين ، فضاء واقعي تضيق به الشخصيات ، و فضاء تخيلي ترسمه مخيلة هذه الشخصيات ، و تحصره وراء البحر المترامي عند شواطيء البلدان ذات العمق التاريخي و الحضاري ، فشخصيات الرواية هاربة بشكل مباشر أو غير مباشر لسبب ما ، حالة هروب يائسة لأسباب متنوعة كثيرة –الفشل في الحب ، أو الزواج ، أو المعارك القومية ، أو تأكيد الذات ، أو انشغالات شخصية أخرى– البحر إذا منفذ للإغاثة و الهروب ، فثمة فضاء واقعي تحيا بين جوانبه الشخصية لكنها تهرب عبر البحر (جسر الخلاص) نحو فضاء تخيلي تجد فيه حريتها السياسية و الشخصية ، أو متعتها الجسدية إلى غير ذلك .

ث – حضور شخصية المرأة العربية في رواية السفينة : كان لحضور المرأة العربية – العراقية التي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية المثقفة حضورا بارزا ، و كان لوعي جبرا الفكري و الاجتماعي بواقع الطبقة البرجوازية ، و التناقضات الحادة التي يعيشها أبناؤها ، ما يعلل ضياع عدد قليل من شخصيات جبرا الروائية ، و لا سيما النسائية منها .

[1] أحمد الزعبي – في الإيقاع الروائي – دار المناهل للنشر و التوزيع – بيروت– ط1– 1994– ص 62

لقد أتاحت الظروف لكل من لمى عبد الغني فرصة التحرر من كثير من القيود الاجتماعية ، و الضوابط الأخلاقية التي تضبط سلوك الإنسان ، و هي تجسد هذا التحرر بالانطلاق في الدراسة في الخارج و حرية الرأي و التصرف و الحب و العمل و التنقل ، لكن جبرا عمد إلى صياغة هذه الشخصية تمثالا مجوفا للحرية ، لأنها أساءت التصرف ، فجاءت تصرفاتها خالية من أي معنى فكري أو اجتماعي أو أخلاقي ، لتعبر عن الأزمة الحقيقة التي تعيشها ، و هي في قمة الحيرة بين معنى الروح و الجسد ، بين الحب الحقيقي و الحب الظاهري ، بين الحرية الحقيقية و الانفلات و الإباحية .

تقدم السفينة لمى عبد الغني بقوامها الجميل و مظهرها الجاذب ، و شخصيتها المنطلقة (توحي بالحرية و الانفلات واللذة) [1] ، تنحدر من أسرة برجوازية مثقفة ، أقنعت زوجها د.فالح بالسفر ، و هي تريد من خلال ذلك اللحاق بعشيقها عصام السلمان ، و الهروب من الماضي ، و البحث عن المتعة ، إلا أنها كانت تعاني أزمة نفسية حادة ، نتيجة الصراع المحتدم داخلها بين الوفاء لزوجها ، و الاستجابة لنداء القلب ، بعد أن حرمت من الزواج من عصام ، بسبب الأهل و العادات (الثأر بين العائلتين) [2]

هكذا جسدت شخصية "لمى عبد الغني" نموذج المرأة البرجوازية المثقفة الضائعة ، و قد تجلى ضياعها في سقوطها المروع في حمى الجسد ، و قد انتهكت قدسية الرباط الزوجي المقدس .

يأتي اختيار جبرا لشخصياته البرجوازية المثقفة ، لا سيما النسائية منها ، و إبرازه لتناقضاتها ، و عجزها ، و ضياعها بدافع كشف زيف هذه الطبقة (و كأن الكاتب قصد محاكمة هذه الطبقة العاجزة عن تحقيق الصيغة الأمثل للحياة ، بحكم بنيتها و قفزها على

[1] الرواية ، ص 116

[2] الرواية ، ص 160

قوانين التاريخ و الصراع) [1] ، فنقدها يأتي بدافع إدانتها ، لا التعاطف معها ، أو الدعاية لها .

ج – **حضور شخصية العربي في رواية السفينة** : يمكن القول أن الخطاب الروائي في رواية جبرا "السفينة" كان البحث عن الثورة و السعي إليها ، على أنها الطريق الوحيد المتاح.

تمتد فترة كتابة رواية السفينة بين عامي 1965 – 1968 ، بحيث أنها تعبر عن الواقع العربي في تطوره ، "و لأن فلسطين تمثل دائما بذور هذا الواقع ، فإن رواية السفينة تحمل أهم رموز التطور العربي ، لتعكس – طيلة الستينات – قصور الوعي العربي عن الوصول إلى غايته ، في هذا الواقع المتخيل يخلق شخصيات روايته ، هذه الشخصيات التي يمكن تلخيصها في شخصية واحدة ، هي شخصية وديع عساف" [2] الرمز الفلسطيني الذي عاد بسفينته في نهاية الأمر إلى الطريق الصحيح ، طريق الثورة بعيدا عن هذا اليوم المضطرب ، و رغم تعدد الشخصيات ، فإن شخصية وديع عساف تظل أكثر الشخصيات تعبيرا عن الفعل الفلسطيني في تطوره .

إذا كان الواقع هو الذي يدفع بالسفينة إلى أهوال العاصفة ، فيما يحول دون الالتفاف حول قيادتها ، للوصل إلى شط الأمان ، فإن أهم ما يحرص عليه صاحبها هو أن الوسيلة إلى ذلك لا تكون إلا بالإصرار على بلوغ الهدف ، و من هنا فهو يعود إلى الخطاب الفلسطيني الذي فرضه الواقع العربي المهتريء ، بعد هزيمة 1967 و هو أن الخروج من هذا الواقع الآسن لا يكون إلا بالمقاومة ، فالمقاومة بالسلاح الفلسطيني تظل هي الخيار الوحيد أمام الثورة الفلسطينية.

[1] أحمد عطية أبو مطر - الرواية في الأدب الفلسطيني- وزارة الإعلام العراقية- بغداد – ط1 - 1981- ص 226
[2] مصطفى عبد الغني – الاتجاه القومي في الرواية – عالم المعرفة – الكويت – العدد – 188- 1994 – ص 200

إن الواقع العربي يعود إلى طريقتين إما المقاومة و إما الجنون ، و كلاهما شخصيتان هامتان في هذا النص هما : وديع "المقاوم" ، ثم فالح "المنتحر" ، و هو ما يشير إلى أن الإصرار يتحول إلى موقف مقاوم على حين يؤدي الجنون إلى موقف مناقض ، لقد انتهى جبرا في السفينة من تعديد مظاهر العالم العربي الذي تحول دون هذه الوحدة ، إلى تحديد الطريق الوحيد الباقي للعرب ، إنه طريق الثورة .

2 – الحوار :

أ – **مفهومه** : هو عبارة عن خلاصة وافية شديدة التكثيف و التركيز من الكلام ، بين أطراف الرواية المشاركين فيها ، أو بين الراوي و طرف آخر ،(فهو كلام منطوق لفظا و معنى ، و ليس شرطا أن يكون بين المتحاورين ، فقد يكون بين الشخصية و ذاتها ، حيث ترتد الشخصية إلى باطنها و عالمها الداخلي لتقاربه و تحاكيه) [1] ، و هذا ما يسمى بالحوار الداخلي ، أما الحوار الذي يكون بين الشخصيات يسمى الحوار الخارجي .

يعرفه عبد المالك مرتاض (بأنه اللغة المعترضة التي تقع وسطا بين المناجاة و اللغة السردية , و يجري الحوار بين شخصية و شخصية)[2] .

ب – آليات توظيف الحوار :

* **الحوار الداخلي** : (تشكل الذات النقطة المركزية التي ينطلق منها هذا الحوار ويعود إليها)[3] ، فهو حوار منطوق داخليا غير مسموع خارجيا ، بمعنى العالم الخارجي الذي يحيط

1 محمد صابر و سوسن البياني ، جماليات التشكيل الروائي ، ص 248 .

2 عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دار الغرب للنشر ،وهران،2005،ص 176 .

3 محمد صابر و سوسن البياني – مرجع سابق – ص 257 .

لا يدرك هذا الحوار و ماهيته ، و ربما لا يشعر به إلا إذا كانت الشخصية و ملامحها الخارجية توحي بذلك .

يلجأ الراوي لاستخدام هذا الحوار قصد الكشف عن أحوال الشخصية ، و مساعدة القاريء على فهمها أكثر ، و التعبير عما يختلج في نفسية الشخصية ، كما جاء على لسان وديع عساف ، الذي يقول في نفسه : (أضعت أرضي في القدس ، و اكتسبت مكتبا للاستيراد في الكويت ، نفيت عن جذوري ، و كوفئت عن نفي بالبيع و الشراء) [1] ، من خلال هذا الحوار الداخلي يفهم القاريء أ وديع عساف ينتمي إلى الطبقة البرجوازية .

كذلك نجده عند عصام السلمان ، عندما التقى بلمى في السفينة أول مرة ، و هي التي كانت عشيقته ، إذ يقول في نفسه : (لن يكون بيني و بين لمى إلا جدار ! و لكنه من حديد ، و يدعم الحديد زوج ، و يدعم الزوج كل شيء ، و لا يدعمني إلا نظرة أخرى دفقت من عيني لمى بالتوق ، و الحزن ، و الخيبة) [2] .

* **الحوار الخارجي** : حفلت رواية السفينة بمقاطع طويلة بهذا الحوار من بدايتها إلى نهايتها ، و أغلبه كان يدور بين الشخصيات الرئيسية وديع ، عصام ، لمى و من ذلك : (عصام ؟ أي والله عصام ! هتف الدكتور فالح و أكمل : لمى ، شوفي ! عصام السلمان !

لمى بلهجة مسرحية : من ؟ عصام ؟

عصام بلهجة مسرحية أيضا : شلون صدفة ! مرحبا دكتور ، مرحبا لمى .

فالح : ها ، إن شاء الله إلى إيطاليا ؟

عصام : لا و الله أبعد ، إلى لندن .

---

[1] الرواية – ص 40.39

[2] الرواية – ص 9

لمى : شلون صدفة ! ستجدنا في لندن أيضا) . [1]

جاء هذا الحوار لاسترجاع الذكريات خاصة بين عصام و لمى ، و جعل القاريء يفهم العلاقة الموجودة بينهما ، كذلك نجد الحوار الذي دار بين وديع و الدكتور فالح : (و ما هي المهمة ؟

- المهمة يا دكتور ؟ كل شيء عن فلسطين ، المستقبل ، الحرية .
- و هل ترى بين هذه صلة تستطيع تعيينها ؟
- هذا ما أراه ، و لا أرى إلا غيره .
- و المقصلة .
- المقصلة كما أفهمها هي العدو .
- اتفقنا إذن !
- دكتور هل حقا اتفقنا ؟
- ماذا تشرب ؟
- ويسكي .
- و مع الويسكي نستأنف حوارا آخر) [2]

[1] مصدر نفسه .

[2] الرواية ، ص 117

كانت وظيفة هذا المشهد الحواري إبراز القضية الفلسطينية ، و ما تعنيه ، و ما ينتظرهم في هذه الحرب ، فقد استطاع الكاتب توصيل رسالته التي كانت منسية في الوطن العربي .

إن المكان في رواية جبرا قد حدد بصورة واقعية ، و ارتكز على الأرض ، و التي هي المحيط المخصب للأحداث بما تختزنه في داخلها من معان و دلالات .

ويعتبر الزمن في "السفينة" الممتد عبر أيامها الستة هو زمن نفسي ، حسب ما توصلنا إليه في تحليلنا ، لعله تجسد في الحلم "حلم العودة" ، و قد غطى حقيقة تاريخية تمثلت في أحقية أبطال السفينة في العودة إلى جذورهم ، إلى أرضهم ، فهم أولى بها ، و الملفت للانتباه أثناء دراستنا للسفينة هو التصوير المكثف للحلم ، و قد لاحظنا ذلك من خلال هروب الشخصيات المحورية من واقعها إلى الماضي ، من خلال الرجوع إلى الوراء ، و إثارة تلك اللحظات العابقة بالحرارة مع الآخرين .

خاتمة

خاتمة :

تعرض الكثير من النقاد و الباحثين لفن جبرا الروائي بالدراسة و التحليل ، ذلك لما تميز به من نضج فني كبير ، و قد تشرفنا في بحثنا هذا بدراسة نبع من ينابيع جبرا الروائية "السفينة" ، الرواية التي كانت رواية الأرض بامتياز ، رواية الجذور ، و قد تطرقنا فيها إلى المأساة التي يعيشها الفلسطيني بعيدا عن أرضه و مأساته و حلمه بالعودة إليها .

و قد تجلت لنا خلال بحثنا هذا نتائج ندرجها في ما يلي :

- ✓ أن رواية "السفينة" صورت مهانة الإنسان العربي ، و هو يعيش غربة العصر بمعناها الحقيقي ، فالعصر عصر الغرب لا عصر العرب ، و من ثم كان الهروب هو الهدف لأصحاب السفينة ، لكنه هروب إلى القدر ، و ليس من القدر .
- ✓ إن رواية السفينة هي قصة شعب عايش الاضطهاد ، و عرف مأساة فقدان الأرض .
- ✓ إن جبرا لم يفصل في روايته السفينة بين مأساة الفلسطيني التائه عن أرضه و وطنه و مأساة الإنسان العربي الذي يعيش مأساة القمع و التسلط السياسي .
- ✓ إن رواية السفينة هي رواية "مفارقة" حيث الإنسان العربي يهرب من أرضه و وطنه ، و يفتش خارجها عن جنته و حلمه ، و الفلسطيني يهرب نحو أرضه و وطنه و قدسه بذاكرته و أحلامه .
- ✓ استخدم جبرا في روايته السفينة ضمير المتكلم في عملية السرد ، و هذا ما يسمى في المنهج البنوي بـ "الرؤية مع" ، وهي الرؤية التي تسمح للروائي بأن يشغل حيزا في مجرى الأحداث ، أي أنه واحد من شخوص الرواية .

✓ وظف جبرا في السفينة رموزا ذات دلالة مختلفة : كالسفينة ، و البحر ، و الخلاص ، و الأرض ، و الصخر ، و الحلم ، و كلها تشكل هواجس مأساة الغربة للفلسطيني ، و ما يعانيه في سبيل العودة إلى أرض وطنه .

✓ المكان "السفينة" ، و الزمان " الحلم " يبدوان محدودين ، لكن جبرا ينتقل بشخوصه في المكان و الزمان بطريقة بدت أكثر رحابة و اتساعا من خلال توظيفه لتقنيات السرد المختلفة ، و قد جعل للمكان الأهمية القصوى .

✓ إن المكان الفلسطيني كان الأكثر حضورا ، أو بروزا في الخطاب الروائي في السفينة ، و قد تشكلت فيه تجارب و رؤى جبرا .

✓ تجلت صورة الأرض في صورة القدس تجليا دينيا مسيحيا ، متأثرا بنشأته المسيحية قرب كنائس "بيت لحم" و القدس ، حيث ربط جبرا بين المدينة و المسيح و الخلاص و التضحية .

✓ لم يكن جبرا حالما فقط ، متعلقا بالأرض ، بل ظهر وطنيا عبر سرده لتاريخ ضياع القدس ، و ربطه حلم العودة بالمقاومة و دم الشهداء .

✓ تحدث جبرا عن الشكل المكان الصخري القدس ، و جعل من الصخر رمزا و سرا و أساسا للأرض ، و صورة من صور ارتباطه بالأرض .

في الأخير يمكننا القول أن تجربة الإبحار على ظهر "الهيركيوليز" كانت تجربة مثيرة ، كون السفينة لم تكن تسرع الإسراع كله ، و إنما تتأنى في سيرها باحثة عن راحتنا ، و قد ساعدنا ذلك على نماء عملنا هذا ، و إيصاله إلى محطته الأخيرة بهذه الصورة ، التي لا ندعي بأنها صورة كاملة لا تشوبها شائبة ، فإن أصبنا فذلك توفيق من الله سبحانه و تعالى ، و إن أخطأنا فالخطأ بداية كل نجاح ، و يكون لنا شرف المحاولة .

ملاحق

قسم جبرا روايته إلى عشرة فصول نلخصها فيما يلي :

الفصل الأول "عصام السلمان" :

يبدأ الفصل بجملة (البحر جسر الخلاص) و هي جملة وصفية عامة للفضاء الروائي يصف عصام السلمان بداية رحلته التي كانت للهروب (فأنا هنا للهروب) ، و يصف لقاءه الأول مع "لمى" ، كما تكلم عن "إيميليا" الفتاة الإيطالية ، العائدة من لبنان ، و الهاربة من زوجها ، الذي لم دام زواجها منه لأكثر من سنة ، لم تتذكر منه سوى منظر الجبل الأزرق فوق بيروت .. ، و واصل عصام و صف اللقاء مع "إيميليا" على ظهر السفينة ، متطرق إلى تفاصيل وجهها وكل ما يمثله في شخصيتها، و قارنه بوجه "لمى عبد الغني" .. و الذي صادف و أن أقامت هي و زوجها الدكتور "فالح حسيب" في غرفة بجوار غرفة "عصام السلمان" ، الشيء الذي أتاح له تذكر أول لقاء غرامي له مع لمى في بغداد

في اليوم الثاني من السفر يلتقي عصام السلمان بوديع عساف ، التاجر الفلسطيني ، المهتم بمظهره ، و العاشق للقدس و أرضها ، كثير الحديث عن القدس، وصفها بأنها أجمل مدن الدنيا ..يتكلم وديع عن حياة طفولته في القرى القريبة من القدس ، و معرفته لفتيات القدس الجميلات ... ثم عاود عصام الحديث عن لمى ، و إعجاب كل من في السفينة بها و بجمالها ..يصف عصام لحظات الرحلة بكل تفاصيلها و محطاتها في الإسكندرية و بيريوس في اليونان ، كما يتكلم عن شخصيات التقى بها ، يجمعهم حبهم للنساء ، مثل محمود شعبان ، و يوسف رامز ، و اللذان صعدا في محطة الإسكندرية .

الفصل الثاني "وديع عساف" :

- (عن كل أمل تخلوا أيها الداخلون هنا) ، هكذا بدأ وديع عساف المقطع الثاني من الرواية ، و يقول أن هذه العبارة كتبت على بوابة الجحيم ، و أنه كان من الداخلين هنا ، و أنه عرف الجحيم طولا و عرضا ، لكنه خرج منه .

يتحدث وديع عن سفره الثالث إلى أوروبا بحرا ، و السابع بالطائرة ، لكن السفر بالطائرة أشبه بالحلم ،الطائرة تكاد تلغي الزمن ، يواصل وديع حديثه عن تجارته الناجحة بين الكويت و بيروت ، و عن زواجه الأول ، و عن اشتياقه للدكتورة مها الحاج ، و التي لا يعرف عن حالها الكثير الآن ، يحلم وديع عساف بشراء أرض في القدس ، و بزراعتها بأشجار الصنوبر و التفاح ، يتحدث عن عصام السلمان و أميليا فرنينزي صديقة مها الحاج في بيروت ، يتحسر وديع عساف على عدم مرافقة مها الحاج له في سفره هذا ، و تحججها بالسفر إلى روما ، لكنه يعوض اشتياقه لمها بتعرفه إلى جاكلين السائحة الفرنسية ، و يسهب في و صف جمال شعرها و وجهها و جسدها كأنه يصف أرضا في القدس .

يشد الحنين وديع عساف إلى أرضه ، و أنه في وقت ما سيعود إلى العيش في القدس ، في أرضه الجديدة . كذلك يصف وديع عساف عبور السفينة مضيق كورينث اليوناني .ثم يعود وديع عساف ليسرد مشاهد من حياة المقدسيين اليومية ، و ذكر بالخصوص فايز ، الرسام في أحد أحياء القدس القديمة ، و الحديث الذي دار بينهما حول صورة البغل التي رسمها فايز ، و صورة القديس يوحنا المعمدان التي رسمها بوتيشلي ..

يصف حياة فايز المقدسية بدقة ، و يعود في كل مرة للحديث عن الصخر و أرض و فتيات فلسطين ، ثم ينتقل للحديث عن الصراع العربي الإسرائيلي على القدس أثناء خروج الجيش البريطاني من البلدة ، و عن أول مواجهة له مع العدو الإسرائيلي ، و عن استشهاد صديقه فايز ، و كيف انتقم له بقتله ثلاثة جنود يهود.

الفصل الثالث "عصام السلمان" :

- يبدأ هذا المقطع بلقاء عصام السلمان و وديع عساف في قمرة وديع ، و مشاهدة الصور و الرسومات التي يرسمها وديع بين الحين و الآخر .. و تدخل فرنندو غوميز الإسباني صديق وديع في القمرة ، و حديثه عن فتيات بيروت الجميلات . يناقش عصام مع

وديع مسألة السفر أهو هروب أم تجارة أم شيء آخر ؟ ثم يعود كلاهما "عصام و وديع" للحديث عن النساء و عن العلاقات الغرامية .

يرجع عصام للحديث عن الحياة على ظهر السفينة ، و عن العلاقات بين الركاب .. أما وديع فعندما يتاح له الحديث يرجع إلى القدس ، إلى بحيرة طبريا ، إلى صخور و جبال و أرض القدس ، أرض المسيح .

يعود النقاش بين وديع و عصام إلى مسألة الهروب والغربة و العودة بالنسبة لكل من على السفينة ، الإنجليزي و الفرنسي و العربي و الفلسطيني و العراقي .. و يضع وديع الأرض كمرتكز لعودة كل هارب إلى أصله (و لكن ألا ترى أن لهم مرتكزا يعودون إليه و يقاسون به ؟ ... الأرض الأرض هي كل شيء) ، لكن عصام يهرب منها و يرفضها لأنها كانت سببا في فقدان والده ، و في فقدانه لحبيبته لمى ، و يرفض الصراع الماحق الأسود العقيم عليها . يعود وديع للحديث عن الأرض و عن حلمه بالعودة إليها ، و امتلاكه لقطعة أرض فلاحية ، و زواجه من امرأة ، و الإنجاب منها عشرة أولاد ، و ينتهي الفصل بسؤال وديع لعصام عن لمى و حكايته معها .

الفصل الرابع "وديع عساف" :

في هذا الفصل يقترب وديع أكثر من لمى و زوجها الدكتور فالح حبيب ، و يجمع بينهما حوار متنوع في أرجاء السفينة ، حوار كان بدايته عن الإيمان و الفضيلة و المنطق و الشعر .. ثم تحول إلى حوار عن الهرب و الانتحار بعد حادثة محاولة انتحار شاب هولندي إثر قفزه في البحر قبل أن ينقذه طاقم السفينة من الغرق ، بعدها يرجع وديع لوصف تلك الليلة التي تلت هذا النهار الصاخب ، ليلة تجمع فيها الكثير من ركاب السفينة ، من بينهم عصام و وديع و لمى و جاكلين و فرنندو.. الليلة التي رقصت فيها لمى على أنغام أم كلثوم، واسترسل في وصف جسدها و هي ترقص ، و في وصف مشاعر كل الحاضرين

من خلال نظراتهم إليها و إعجابهم بها ، لينتفض الدكتور فالح و يوقف زوجته لمى عن الرقص و يجرها إلى قمرتهما بالسفينة ، و يستمر الحوار بين عصام و وديع حول الاضطهاد و الحرية ، و حول سر قلق عصام على لمى – هكذا سأل وديع عصام .

و ينهي وديع هذا الفصل بمحاورة فرنندو في قمرة السفينة حول قضية الانتحار بالنسبة للعرب و الإسبان .

الفصل الخامس "عصام السلمان" :

يؤكد عصام في الفصل الخامس سيطرة وديع عليه و على أفكاره ، بسبب تكوين هذا الفلسطيني المتمكن و كلامه الدافق على كل شخص وقعت عيناه عليه ، و حديثه حتى قال عصام (لو قال لي اقفز في البحر لقفزت).

يتحدث عصام عن وديع كثيرا في هذا الفصل ، و يتحدث عنه بإعجاب و حيرة ، ثم يعود للحديث عن لمى و زوجها الدكتور فالح ، و قلقه المستمر ، و شربه الدائم بسبب إحساسه و خوفه من فقدان لمى لصالح ذلك الفلسطيني المغرور بنفسه ، الذي سيطر على كل فتاة في السفينة (حسب تعبيره لعصام) ، يعود ليذكر تفاصيل الحوار الذي كان دائما ما يجمع بينه و بين أفراد مجموعة العرب المسافرين في السفينة ، و كان هذه المرة المحاور هو محمود الراشد ، و حديثه عن التضحية ،

ينتهي الفصل بقصيدة كتبها يوسف صديق محمود الراشد عن العنكبوت و الذبابة ، تستفز الدكتور فالح فيغادر الحلقة إلى ظهر السفينة ، تلتحق به لمى لتواسيه على مرأى من إيميليا و عصام السلمان ، يدخلا إلى قاعة الطعام ، و إيميليا تقول : (الشمس رائعة ، البحر رائع ، و إيميليا الرائعة تموت جوعا !).

الفصل السادس "وديع عساف" :

يقدم جبرا أحداث هذا الفصل على لسان الراوي وديع عساف ، حيث يقدم الأحداث برؤية خارجية ، فهو يوظف ضمير الغائب عن فالح الناقم على الحياة ، و المتزمت الذي أصر على الزواج من امرأة (توحي بالحرية و اللذة و الانفلات) ثم ينتقل مباشرة إلى تقديم الأحداث برؤية داخلية ، مستخدما ضمير المتكلم في الكشف عن عالم الداخل المؤيد لموقف لمى ، و بعد ذلك يقفز الراوي وديع عساف مباشرة إلى نقل المحادثة التي دارت بينه و بين الطبيب فالح بأسلوب الخطاب المباشر ، كما جاء في هذا الفصل عن حادثة ذهاب الطبيب فالح إلى معالجة مريض في بغداد ، أثناء تواجده هناك ، و هجوم الكلاب عليه ، مما جعله يقضي أسبوعين في المستشفى .

الفصل السابع ـ عصام السلمان ـ

تناول جبرا في هذا الفصل و صف عصام السلمان لنا بعد حادثة محمود الراشد وعودته إلى قمرته المجاورة لقمرة لمى و زوجها فالح ،الرجوع الى عذابه ، و ذهب يصف و يتغنى بجمالها الحي و شعرها حتى و هي في أسوء حالاتها و... ويصف حالته المزرية خاصة و ان حالة البحر بهذا السوء تؤثر فيه كثيرا لجعله يصاب بالدوار .

تصل السفينة إلى محطتها في نابولي ، ليذهب الجميع إلى جزيرة كابري السياحية ماعدا لمى التي أصيبت بوعكة صحية منعتها من الذهاب، و عصام الذي لم يشأ الذهاب من الأساس .. أو هكذا يبدو، ينزل عصام و لمى الى مدينة نابولي و يتجولا في شوارعها التي توحي بالحب و الحياة و يتبادلان حوار مطولا عن الرومانسية مسترجعين كل الذكريات التي جمعتم في الصغر في بغداد . يتذكر عصام سنين دراسته في أكسفورد و يصفها كأنها عشر سنوات .... جعلت منه حكيما بعد تخرجه منها، يصف كليات الجامعة و طلبتها و أساتذتها

و معاهدها .... بدورها تصف لمى أيام دراستها و حلمها الذي كانت تسعى لبلوغه كأستاذة محاضرة في جامعة الرشيدية و شرائها سيارة و وبناء منزلا كبيرا يحتوي على مسبحا و..

أما عصام فقد بالحديث عاد إلى احد أهم الأسباب التي جعلته يبتعد عنها... خلاف بين العائلتين قبل أن يولدا أدى إلى وفاة عم لمى جواد الحمادي بسسبب قطعة ارض ... ثم يرجع بالحديث الى جزء هام من تاريخ عائلته و كفاح اجداده من اجل التمسك بأرضهم قديما كما كان له حديث عن عائلة لمى عائلة جواد الحمادي وتجارتها المزدهرة في مجال الاسمنت و المواد العقارية و الأحذية و المشروبات الغازية .

ثم يرجع ليذكرنا بعلاقته بلمى في ايامها الاولى و ظل كلاهما يبرر للآخر ويذكره بما قدم من تضحيات من اجل حبيبه .... و يسرد الأسباب التي تجعل من زواجهما أشبه بالمستحيل . فبالإضافة إلى الأسباب الاجتماعية التي تمثلت في خصام العائلتين، قد تكون أسباب سياسية بسبب قيام الثورة 1958 و الزج بوالد لمى في السجن بسبب آراءه السياسية ثم يعود يسرد أيام حبه في لندن و في السهول الخضراء ...

ليختم العشيقان جولتهم في الشوارع نابولي على طاولة مطعم يأكلان البيتزا الايطالية و يتبادلان الحديث و القبلات ،بعدها عاد بها الى السفينة .، و يرجع عصام الى المدينة

الفصل الثامن- أميليا فرنينزي

انه الفصل الوحيد التي تكون فيه أميليا فيرنينزي صاحبه اللسان فيه، فقد بدأت الحديث عن فالح و عزلته النفسية التي يعيشها ، صعوبة الاتصال به كانت سببا آخر لإصرار أميليا على الانفراد به ، و قد فعلت ذلك مرتين دون ان تحقق مرادها، بررت أميليا سبب اضطراب فالح بما لحظه من علاقة بين لمى زوجته و عصام سلمان ، تكتشف أميليا في هذا الفصل انه فالح هو من خطط لها هذه الرحلة لتثير غيرة لمى ...وقد فعلت ذلك بنوع من الأسى .

تتحدث أميليا عن مها الحاج الغائبة الحاضرة في وجدان و ديع ، بعدها و بصورة مفاجئة تعود للحديث عن اللقاء الموعود ،فقد طلب منها فالح الخروج معها الى شوارع نابولي الضيقة..... و المكتضة بالناس، و بينما هما في إحدى مقاهي نابولي القريبة من الرصيف يمزجان بين نشوة القهوة و لذة الفطائر الايطالية و بين القبلات المتوترة المتصاعدة حرارتها ، تقع عينا فالح على زوجته لمى و عصام يغادران المركب الى المدينة ... تطلب أميليا مباشرة من فالح الذهاب الى فندق لقضاء بقية النهار فيه ... يوافق فالح دون تردد ... تمارس أميليا إغرائها المعهود في غرفة الفندق لتثير رغبة فالح إلا انه كان لا يبالي بسبب ما رأى من لمى ... لتعود اميليا بالحديث إلى لقائها الأول مع فالح بعدما تركت زوجها الأول ميشال .

و تبدأ بسر حلمها لو ان فالح كان لها وحدها لتستمتع و لتزور معه كل من مدن ايطاليا و أثارها التاريخية ... بعدها تعود اميليا لتصف كيف تمكنت من ترويض هذا الفالح و تجبره على الانصياع لهاو لرغباتها الحميمية ، بعدها تنتقل مع فالح من الفندق الى السفينة في السيارة ، ينزل فالح ويذهب الى السفينة وتذهب اميليا الى مطعم قريب لتصرف نقودها على النبيذ و الطعام الجيد لانه لاشيء اجمل من أن يصرف أحدهم نقوده على شيء من الحياة و شيء من الشهوة – تقول اميليا – .

الفصل التاسع "عصام السلمان" :

يستأنف وديع عساف الحوار في هذا الفصل ، و يبدأ من عوده إلى السفينة بعد رحلته مع لمى إلى مدينة نابولي ، كان الليل في بدايته عندما عاد إلى قمرته في السفينة ، ليجد أن زميله أبو شوكت التاجر قد انتهت رحلته ، و ترك له رسالة وداع ، و مجموعة من الفواكه اللذيذة ... استحسن ذلك ، تذكر إيميليا ، و نزل ليبحث عنها فوجدها على ظهر السفينة ، طلب منها النزول من السفينة ، و القيام برحلة ليلية إلى مدينة نابولي – و كان يهرب خوفا

من أن يكتشف فالح أمره مع لمى – إلى أحد ملاهي نابولي الشهيرة أخذهم سائق السيارة ، و هناك و بعد الشرب سألته إيميليا عن علاقته بلمى ، نفى ذلك (مجرد أوهام) قال عصام ، أصرت إيميليا و أصر عصام على إنكار علاقته بلمى ، غاص عصام و إيميليا في الشرب و الرقص ، بعدها عادا إلى السفينة ... لتعود إيميليا إلى قمرتها ، و يجد عصام لمى تنتظره أمام باب قمرتها ، و قد رأته يخرج مع السخيفة إيميليا – تقول لمى – و تلومه على الخروج معها ... يقترح عليها الذهاب إلى قمرته الفارغة هذا المساء ، توافق على الفور ، خاصة و أن نومه ثقيل في بداية الليل – عن فالح تتحدث لمى – لكن و في ذروة النشوة الحميمة ، تقرر لمى الانسحاب ، و مغادرة قمرة عصام قبل أن يفيق فالح ، خرجت و رجعت مسرعة تنادي عصام : (تعال بسرعة ، لقد وجدت فالح ميتا) و دلائل مما يبدو أنه انتحار .. انتحر فالح ، و ترك ثلاث رسائل : واحدة لزوجته لمى ، و أخرى لربان السفينة ، و ثالثة لعشيقته إيميليا فرنيزي أسعد ، و بعض المذكرات ..

يعترف فالح في رسالة ربان السفينة بأنه أخذ حياته بيده ، انتحر بحبات الانتحار .. انتحر و ترك مذكرات تحكي عن الحياة و الموت .. عن فشله في عملية لفتاة في السابعة ، ماتت بعدها و نجاحه في عملية لشيخ في السبعين ، عاش بعدها .. يتحدث عن زواجه بلمى ، و عن إعجاب إيميليا به .. تحدث عن حياته الخاصة ، و علاقاته في العمل مع زملائه .. تحدث عن عائلته و أصوله و عن جده و كيف مات مجنونا .. تحدث عن شربه للخمر .. و اختتم رسالته بكلمته الأخيرة الموجهة للمى ، حيث قال إنه رآها تخرج مع عصام بعدما كذبت عليه عن قضية مرضها ، و أنه هو أيضا ذهب مع إيميليا إلى الفندق ، و أن إيميليا أحبته بصدق ساعة ضعفه و سقوطه .. و أنه يشعر بارتياح كبير و هو يقدم على الانتحار ، و انتهاء كل شيء .

الفصل العاشر – وديع عساف –

تجري أحداث هذا الفصل بعد انتحار فالح ، و قبل وصول مها الحاج صديقة الراوي وديع عساف إلى نابولي ، و يعبر عن حزنه و تأثره لانتحار فالح ، كما يسرد من جهة ثانية تعابير عن حبه لصديقته مها الحاج .

لم يعلم وديع عساف بانتحار فالح إلا في هذا الفصل ، و يحزن كثيرا لهذه المأساة التي لا يراها إلا في إطار الفصام و الانفصال الذي وقع بين فالح و بين الأرض .

و قد علل عساف سبب انتحار فالح بكونه مقطوعا من الجذور ، أي من زوجه لمى ، و من أرضه التي باعها ، لأنه رأى فيها لعنته (رغم أيامنا القليلة معا ، فقد بدت الحياة اليوم و كأنها فقدت جزءا رائعا من كيانها ، حتى بالنسبة إلي ، و أن أنتظر قدوم مها من روما)

كذلك تحدث وديع عساف عن نفسه كثيرا في هذا الفصل ، و يصف عواطفه تجاه حبيبته لمى (هل كنت أموه بذلك على نفسي ؟ لا أظف كنت أبغي أن تكون لمى صخرة من صخور القدس).

ورأينا أنه من المهم سرد مضمون سيرة جبرا ابراهيم جبرا و جاءت كالتالي :

هو الأستاذ و الروائي الكبير جبرا إبراهيم جبرا ، ولد في مدينة بيت لحم بفلسطين سنة 1920 ، تلقى تعليمه الابتدائي في مدارس القدس من سنة 1926 إلى غاية 1935 ، ثم دخل الكلية العربية ، حيث أتم دروسه الثانوية ، و زاد عليها سنة للحصول على دبلوم العربية ، و في سنة 1939 أرسل إلى بريطانيا ليكمل دراسته في جامعة "إكستر" ، ثم جامعة "كمبريدج" و التي تخرج منها سنة 1943 بشهادة ماجستير في تخصص "الأدب الإنجليزي" .

بعدها عاد إلى القدس ، حيث عين أستاذا للأدب الإنجليزي في الكلية الرشيدية ، وفي سنة 1945 كتب قصة بالإنجليزية ، ثم كتب أخرى سنة 1946 ترجمها بعد ذلك إلى العربية ، و كانت بعنوان "صراخ في ليل طويل" ، و ظهرت ميولاته الأدبية مبكرا ، ففي سن العاشرة كتب مسرحية ، و عندما بلغ الرابع عشرة كتب قصة قصيرة ، و قبل سفره إلى إنجلترا كتب و نشر في مواضيع كثيرة بالنسبة لمن هو في عمره .

و عندما عين أستاذا بجامعة الرشيدة كان رئيس نادي الفنون ، الذي أتاح له صقل مواهبه الأخرى في الشعر و الفن و الموسيقى مع أصدقائه ، و في عام 1946 بدأ الرسم .

و في بداية الإرهاب الصهيوني سنة 1948 اضطر إلى العودة هو و عائلته إلى مدينة بيت لحم ، بعد تصاعد أعمال التخريب التي طالت العديد من الأحياء الرشيدية ، وفي أواخر سنة 1948 عرضت عليه وظيفة – أستاذ محاضر– في الكلية التوجيهية "كلية الآداب والعلوم" ببغداد بالعراق ، فسافر لوحده دون بقية عائلته .

و مع بداية سنة 1949 أسس القسم الإنجليزي في كلية – الآداب و العلوم– ، و كان يلقي فيه المحاضرات (كنت أرسم و أحاضر دونما انقطاع ، و قد غدوت دون وعي

من أول الأمر أحد العاملين على ما تبين فيما أنه بداية لعصر جديد في الكتابة و الفن العربيين)[1]

و في سنة 1952 تزوج مع زميلته العراقية الأستاذة لميعة العسكري ، و في نفس العام سافر إلى جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على زمالة بحث في النقد الأدبي ، و في سنة 1954 كتب روايته بالإنجليزية "صيادون في شارع ضيق" و التي نشرت في لندن سنة 1960 .

ثم عاد إلى بغداد ، و عين في دائرة العلاقات العامة في شركة "نفط العراق" ، بعدها بخمس سنوات عين مديرا لمواصلات الإدارة ، ثم للمطبوعات ، لكنه استمر في إلقاء المحاضرات حتى سنة 1964 .

و في عاد 1975 تلقى دعوة من جامعة كاليفورنيا للعمل هناك كأستاذ زائر ، درس خلالها الأدب العربي المعاصر حتى أواخر سنة 1976 ، إضافة إلى اشتغاله على الرواية و الشعر و القصة ، و عمل على كتابة سيناريو لفيلم روائي طويل عن "نبوخذ نصر" بطلب من المؤسسة العامة للسينما و المسرح ببغداد ، أنهاه سنة 1979 .

كتب جبرا عددا من الروايات بعضها بالإنجليزية ، و أعادها هو إلى العربية ، أو قام تلميذه "محمد عصفور" بترجمتها ، و بيان روايته كالتالي : – صراخ في ليل طويل – صيادون في شارع ضيق – السفينة – البحث عن وليد مسعود – الغرف الأخرى – يوميات سراب عفان ، هذا و قد كتب روايته "عالم بلا خرائط" بالاشتراك مع عبد الرحمان منيف ، وله مجموعة قصصية واحدة بعنوان "عرق" .كما وضع جوانبا من سيرته الذاتية في كتابين هما "البئر الأولى" و "شارع الأميرات" ، و له ثلاث مجموعات شعرية على النظام النثري

[1] روبرت كامبل ، أعلام الادب العربي المعاصر ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، 1996 ، ط1، ص 416 .

الحر ، هي "تموز في المدينة" ، "المدار المغلق" ، "لوعة الشمس" ، بعدها جاء إصدار مجموعته "سبع قصائد" .

و كتب في الدراما سيناريو "الملك الشمس" عن نبوخذ نصر – طبع سنة 1986 – ، وسيناريو "أيام العقاب" عن معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد – طبع سنة 1988 – ، وكان هو من وضع حوار فيلم "عمر المختار" للمخرج السوري الراحل "مصطفى العقاد" ، و الذي قام ببطولته النجم العالمي "أنطوني كوين" .

و يرى البعض أن أهميته الثقافية تجلت في كتبه النقدية ، سواء أكان ذلك في ميدان الأدب أم الفن التشكيلي ، و هذه الكتب هي : – الحرية و الطوفان "طبع سنة 1960 – الرحلة الثامنة "طبع سنة 1967" – جذور الفن العراقي "طبع سنة1980" – المعاصر في العراق – حركة الرسم "طبع سنة 1972" – جواب سليم و نصب الحرية "طبع سنة 1974" – النار و الجوهر "طبع سنة 1975"– ينابيع الرؤيا "طبع سنة 1979" ، الفن و الحلم و الفعل "طبع سنة 1985" – بغداد بين الأمس و اليوم "طبع سنة 1987" .

كما نقل إلى العربية نحو ثلاثين كتابا عن اللغة الإنكليزية ، منها : قصص من الأدب الإنجليزي المعاصر "طبع سنة 1955" ، و أدونيس _أحد أجزاء الغصن الذهبي_ للسير جيمس فريز "طبع سنة 1957" ، و ترجم بعض أعمال شكسبير منها هاملت شكسبير "طبع سنة 1970" و –و ترجم كتاب – ما قبل الفلسفة لهنري فرانكفورت و ثوركيلد جاكوسين وجون ولسون "طبع سنة 1960"

كذلك توجد له مخطوطات لم تطبع بعد ، بينها مجموعة(قصائد بعنوان "قصائد بعضها لليل و بعضها للنهار") [1] و من النقاد و الدارسين الذين كتبوا عن جبرا إبراهيم جبرا

[1] أحمد دحبور ، مقال ، جريدة الحياة ، بيروت ،العدد 6144، 2012/12/12، ص 14 .

منها : – كتاب مرايا جبرا إبراهيم جبرا و الفن الروائي لسمير فوزي الحاج – منازل القمر "دراسات نقدية للؤلؤة عبد الواحد "طبع سنة 1990" . [1]

1 أحمد دحبور ، مقال ، جريدة الحياة ، بيروت ،العدد 6144، 2012/12/12، ص 14 .

قائمة

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

أولا – المصادر :

– جبرا ابراهيم جبرا ، رواية السفينة ، دار الأدب للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط5، 2008

2 – جبرا ابراهيم جبرا ، الفن والحلم والفعل، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،1986.

ثانيا – المراجع :

3 – أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ، ط 3 ، 1987 .

4 – أحمد الزعبي ، في الإيقاع الروائي ، دار المناهل للنشر و التوزيع ، بيروت، ط1، 1994.

5 – أمنة يوسف،تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت، ط 2 ، 2015.

6– أحمد عطية أبو مطر ، الرواية في الأدب الفلسطيني، وزارة الإعلام العراقية، بغداد – ط1 ،1981.

7 – أحمد دحبور ، مقال ، جريدة الحياة ، بيروت ، العدد 6144، 2012/12/12.

8 – ابن منظور ،لسان العرب،دار صادر،بيروت،1955

9 – ابن منظور،لسان العرب، المجلد 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2015

10 – القاسم أفنان ،غسان كنفاني البنية الروائية لمسار الشعب الفلسطيني من البطل المنفي الى البطل الثوري ، منشورات وزارة الثقافة و الفنون ،بغداد،1978.

11 – باديس فوغالي ، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن، ط ، 2008 .

12 – – بيدرو بريجير ، الصراع العربي الاسرائيلي ، تر ابراهيم الصالح ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط1، 2012 .

13 – تميم كتانة ، المكان في رواية إيميل حبيبي ، دار المنهل ، بيروت ،2017.

14 – حسين مناصرة ، فردوس الأرض المختصبة ،دارالفارابي،بيروت ،ط1، 2013

15 – حسين جمعة ، تجليات النكبة و المقاومة في الفكر و الادب العربي المعاصر ، دار رسلان ، دمشق،ط 1 ، 2012 .

16 – حميد لحميداني ،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، ط 1 – 1991

17 – حسان رشاد الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية ،اتحاد الكتاب العرب، بيروت ،1998.

18 – حسن فتح الباب منار ، الخطاب الروائي عند غسان كنفاني ، دراسة اسلوبية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر،2003 .

19 – خضرا محجز ، رواية اقتلوني و مالكا ، عطية للنشر و التوزيع ، غزة فلسطين ،– 2012.

20 – دافيد لوبروكون ، أنتروبولوجيا الجسد و الحداثة، تر محمد عرب ،المؤسسة الجامعية للنشر ،بيروت، ط2،.1997

21 – روبرت كامبل،أعلام الادب العربي المعاصر ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت، ط 1، 1996 .

22 – رضوى عاشور ، الطريق إلى الخيمة الاخرى ، دراسات في أعمال غسان كنفاني ،دار الشروق ،القاهرة ، ط1،2016.

23 – رمضان بابادجي ، حق العودة للشعب الفلسطيني و مبادئ تطبيقه ،مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ، ط 2 ، 1997 .

قائمة المصادر و المراجع.

24 – سعيد يقطين، قال الرواي،البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997.

25 – سوسن البياني ،جماليات الشكل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق،الاردن، ط1،2012.

26 – سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2004 .

27 – سليمان حسين ، مضمرات النص و الخطاب ، اتحاد الكتاب العرب بيروت ، ط1– 1999.

28 – عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دار الغرب للنشر ، وهران ، 2005 .

29 – عبد المنعم زكريا ، البنية السردية في الرواية ، عين للدراسات و البحوث ، مصر، ط 1، 2009 .

30 – عبدالله إبراهيم ، البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1988 .

31 – عواد أوزينة، أصوات من الحصار ، منشورات إي كتب ، لندن ، 2009.

32 – عادل الاسطة ، أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، مؤسسة فلسطين للثقافة ، دمشق ، ط2،2008.

33 – غريب عسقلاني ، نجمة النواتي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ،1999 .

37 – غسان كنفاني ، الاثار الكاملة ، الروايات ، أم سعد ، المجلد **1** ، دار الطليعة ، ط1، 1972

34– فاروق وادي ، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، المؤسسة العربة للدراسات و النشر ، بيروت ،ط1،1981 .

قائمة المصادر و المراجع.

35 – محمد صابر و سوسن البياني ، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سوريا ، 2008.

36– محمد بوغرة ، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، الدارالعربية ،الرباط ، ط 1، 2010

37 – محمد مصطفى حسانين ،إستعادة المكان دراسة في آلية السرد و التأويل رواية السفينة،دار الثقافة و الاعلام ، الشارقة . 2005 .

38 – محمد الشاذلي عبد السلام ، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة ،بيروت ، ط1، 1985 .

39 – نضال الصالح ، نشيد الزيتون ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004.

40 – نزار قباني،الاعمال الشعرية الكاملة،منشورات نزار قباني،بيروت،ط 16،2007.

41 – ياسين النظير ، الرواية و المكان ،دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1986.

42 – ياسين النظير ، الرواية و المكان ، سلسلة ثقافية عراقية ، بغداد ، ط 1، 1986.

43 – يوسف حطيني ، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية،اتحاد الكتاب العرب،بيروت، 1999 .

ثالثا – المراجع باللغة الاجنبية :

44 – جريدة BBC، مقال بعنوان ، أوسلو ، ليوم 2001/11/29

http://web.archive.org/news.bbc.co.

رابعا– الرسائل و الأطروحات:

45 – حسين محمد حسين،الرواية الفنية وتجلياتها الموضوعية في الارض المحتلة بعد اوسلو، ماجستير،جامعة غزة – 2008–

46 – وليد محمود ، القدس في روايات جبرا ابراهيم جبرا ، الجامعة الاسلامية غزة فلسطين ، بحث المؤتمر الخامس للكلية ، 2011.

قائمة المصادر و المراجع.

47 – وئام رشيد،تقنيات السرد في الخطاب الروائي العربي الفلسطيني ،ماجستير،جامعة غزة ، 2010 .

خامسا – المجلات و الدوريات:

48– أسعد محمد علي ، البحث عن وليد مسعود و تنويعات الشكل الموسيقي ، مجلة الأقلام ، العدد1،1973.

49 – إيليا زريق، اللاجئون الفلسطينيون و حق العودة،مجلة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت،العدد 19 ،1994 .

50 – ميسون أسدي، النكبة المستمرة و الحقوق الثابتة ، مجلة المركز الفلسطيني لمصادر و حقوق المواطنة و اللاجئين، بيت لحم ، فلسطين ، 2015 .

51 – سرميليان ليون ،بناء المشهد الروائي،تر فاضل ثامر،مجلة الثقافة الاجنبية ،العدد 3 ،1987 .

52 – شفيق ناظم الغبرا ، عدة وجوه لحق العودة ، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 117 ،2019.

53 – مصطفى عبد الغني،الاتجاه القومي في الرواية،عالم المعرفة،الكويت،العدد188، 1994 .

54 – مجلة فكر،الحزب السوري القومي الاجتماعي،بيروت ،العدد104،2009.

55 – مصطفى عبد الغني ، الاتجاه القومي في الرواية ، مجلة عالم المعرفة ، لمجلس الوطني للثقافة ،الكويت، 1994،العدد 188.

56– محمد حسين عبد الرحيم،دراسة القدس في رواية إيميل حبيبي،سداسية الأيام الست،جامعة الاردن،2017.

قائمة المصادر و المراجع.

57 – عبد المالك مرتاض،في نظرية الرواية،مجلة عالم المعرفة،الكويت العدد 240– 1998.

58 – عاطف أبو سيف،سياسات،مجلة فصلية تصدر عن معهد السياسات العامة،رام الله ،فلسطين،العدد 40، 2017 .

سادسا – المواقع الاكترونية :

59 – وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية،وفاء ،موقع الكتروني،تاريخ الزيارة http://www.wafa.ps. 2019/03/22

60– مهند عدنان ، البعد التاريخي في رواية رجال في الشمس ،ديوان العرب مجلة الكترونية،تاريخ الزيارة : 2019/03/29 .

https://diwanalarab.com/spip.php?article26

61 –عبد الوهاب محمد،الحوار المتمدن،مقال نشر في مجلة مفكرة الاسلام،العدد 389، 2008 . http://ahewar.org/search/Dsearch.asp?nr=469

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويـــــات

الموضوع	رقم الصفحة
- الشكر والتقدير - الإهداء	
المقدمة	أ – ت
مهاد تاريخي حول القضية الفلسطينية	
أولا : النكبة.	6
1 – التعريف اللغوي.....	6
2 – التعريف الاصطلاحي.....	6
3 – تأثير النكبة على المستوى الثقافي.....	7
ثانيا : النكسة .	8
1 – التعريف اللغوي	8
2 – التعريف الاصطلاحي	8
3 – تأثير النكسة على الساحة الأدبية الفلسطينية و العربية	9
ثالثا : الانتفاضة .	11
1 – التعريف اللغوي	11
2 – التعريف الاصطلاحي	11
3 – حضور الانتفاضة في الرواية الفلسطينية	12
رابعا : اتفاقية أوسلو .	13
1 - المفهوم الاصطلاحي	13
2 – حضور اتفاقية أوسلو في المشهد الروائي الفلسطيني.....	14

خامسا : حق العودة	15
1 - المفهوم الاصطلاحي	16
2 حق العودة في الرواية الفلسطينية	16
الفصل الأول : الأرض و العودة دراسة موضوعية	
أولا : قضية الأرض في الرواية الفلسطينية .	20
1 – قضية الأرض في رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني	21
2 – قضية الأرض في رواية المتشائل لـ إميل حبيبي	23
3 – قضية الأرض في رواية السفينة لـ جبرا إبراهيم جبرا	25
ثانيا : مفارقة الأرض و الإنسان في الرواية الفلسطينية .	27
1 – مفارقة الأرض و المرأة في الرواية الفلسطينية رواية أم سعد لـ غسان كنفاني	27
2 – مفارقة الأرض و المثقف وديع عساف في رواية السفينة	30
ثالثا : حلم العودة في الرواية الفلسطينية .	33
1 - حلم العودة في رواية نجمة النواتي لـ غريب عسقلاني	34
2 – حلم العودة غي رواية السفينة.....	35
1.2 – الأسطورة و حلم العودة غي رواية السفينة	36
2.2 – الأرض / الأنثى و حلم العودة في رواية السفينة	37
3.2 – الجسد و حلم العودة في رواية السفينة	39
الفصل الثاني : الأرض و العودة دراسة بنيوية.	
أولا : التشكيل المكاني في الرواية .	43
1 – مفهوم المكان	44
1.1 – المفهوم اللغوي	44

2.1 – المفهوم الاصلاحي .	44
2 - بنية المكان في رواية السفينة.	45
1.2 – السفينة.	45
2.2 – البحر.	46
ثانيا : التشكيل الزماني في الرواية .	47
1 – مفهوم الزمن .	47
1.1 - المفهوم اللغوي .	47
2.1 – المفهوم الاصطلاحي .	47
3.1 – أهمية الزمن في الحكي .	47
4.1 – زمن القصة .	48
5.1- زمن القص .	48
6.1 – زمن القصة في السفينة .	48
7.1 – زمن القص في السفينة .	49
2 – الاسترجاع	49
1.2 – استرجاعات عصام السلمان	50
2.2 – استرجاعات وديع عساف	51
3 – الاستباق .	52
4 – المشهد .	52
5 – الحذف .	54
6 – الحدث .	55
1.6 – آليات توظيف الحدث في رواية السفينة .	55
ثالثا : الشخوص و الحوار	56

1 – الشخوص	56
1.1 – مفهوم الشخصية الروائية	57
2.1 – توظيف الشخصيات	57
3.1 – حركة الشخصيات	58
4.1 – حضور شخصية العربية في رواية السفينة	59
5.1 – حضور شخصية العربي في رواية السفينة	61
2 – الحوار.	62
1.2 – مفهوم الحوار.	62
2.2 – آليات توظيف الحوار.	62
خاتمة	67
ملاحق	
1 –. ملخص الرواية	70
2 –. مضمون سيرة جبرا إبراهيم جبرا الذاتية	79
قائمة المصادر و المراجع	84
فهرس المحتويات	91

تم بحمد الله

ملخص :

تتحدث هذه الدراسة عن تجليات مأساة الأرض و حلم العودة في الرواية الفلسطينية , و قد اتخذت من رواية – السفينة – للأديب الفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا أنموذجا شكل فيه حلم العودة إلـــى الأرض المأسـاة التي يعانيها كل فلسطيني غائب عن أرضه، وقد عالجت الدراسة الإشكالية التالية: كيف تجلت مأساة الأرض و حلم العودة في الرواية الفلسطينية؟.و قد خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها أن المأساة في الرواية تجسدت في كل ما عاناه أهل السفينة من أجل تحقيق أحلامهم المختلفة وأن الحلم في السفينة تجسد في نهايتها ، حيث النزول و الهبوط منها والعودة إلى الأرض .

الكلمات المفتاحية : السفينة – الأرض – المأساة – الحلم .

Abstract :

This study deals with the manifestations of the tragedy of the land and the dream of return in the Palestinian novel. The story of the ship was taken from the Palestinian writer Jabra Ibrahim Jabra as a model in which the dream of returning to the land constituted the tragedy of every Palestinian absent from his land. The tragedy of the land and the dream of return manifested in the Palestinian novel? The study concluded that the tragedy in the novel was embodied in everything that the ship suffered in order to realize their different dreams and that the dream in the ship is reflected at the end, where the descent and landing and return to earth .

Keywords: Ship - Earth - Tragedy - Dream.